

الأزهر

ودوره السياسي والمحضاري
في أفريقيا

د. شوقي عطا الله الجمل





مركز وثائق وتاريخ عصر المعاصر

297-351

.. ٣٤

٤
١

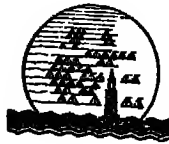
بإشراف: أ.د. يونس البيبي رزق

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية
رقم التصنيف :
رقم التسجيل :

الأزهر

ودوره السياسي والمضاري
في أفريقيا

د. شوقي عطا الله الجمل



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina



الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

١٩٨٨

تقديم

« الأزهر منارة » .. توصيف شاع بين جموع المؤرخين الذين تناولوا دور الأزهر التنويرى سواء على المستوى المصرى أم المستوى العربى أم المستوى الاسلامى ، وهو توصيف فى مكانه بلا مرء .

يبد أن الغالبية العظمى من مستخدمى هذا التوصيف قد عنوا بالأساس بما قدمه الأزهر للوافدين من شتى أرجاء المعمورة الاسلامية مما تجسد فى تعدد أروقتة التى أوى اليها هؤلاء ، وهم لم يعنوا بنفس الدرجة بالجانب الآخر من الصورة المتمثل فى ذهاب الأزهر ، متمثلا فى علمائه ، الى تلك الأرجاء .

فقد كان هناك دائما ، وعلى توالى الحقب التاريخية ، من يمكن توصيفهم بفيالق من رجال الأزهر تخرج فى موجات متتالية تؤدى رسالتها المصرية والاسلامية فى التنوير ونشر المعارف فى مناطق كانت فى ميسس الحاجة اليهما .

وهذا العدد من مصر النهضة عن « الأزهر ودوره السياسي والحضارى فى افريقيا » والذى يسهم به الأستاذ الدكتور شوقى الجمل أستاذ الدراسات الافريقية فى معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة يقدم جانبا من هذا الوجه الآخر من الصورة الذى لم يلتفت اليه المؤرخون بدرجة كافية من قبل .

وإذا كان المؤلف ليس غريبا على « مصر النهضة » التى استضافته قبل ذلك فى عددها السابع وكان تحت عنوان « دور مصر فى افريقيا فى العصر الحديث » ، فإن اهتمام « مصر النهضة » بعلاقات مصر الافريقية فى العصر الحديث ليس جديدا على القارئ ، فمن بين ثلاثة وعشرين كتابا صدرت من هذه السلسلة عالجت أربعة منها هذا الموضوع من جوانب متعددة .

وكما طوف الأستاذ الدكتور شوقى الجمل فى عمله هذا الذى بين أيدينا . . طوف بنا فى شتى أنحاء القارة متتبعا دور الأزهر فيها فقد كشف فى نفس الوقت عن أسرار جديدة لهذا الدور استخرجها من أضاير الأزهر أو شهادات الرحالة مما يضىء على هذا الكتاب أصالة علمية حرصنا على قدر الامكان على توفيرها « لمصر النهضة » .

وإلى الله قصد السبيل ،

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مقدمة

احتفل العالم الاسلامى والعربى فى عام ١٩٨٢ بالعيد الألفى للأزهر ، والحقيقة أن هذا الاحتفال لا ينصب على المبنى الشامخ الذى قاوم الزمن والذى يرتفع اليوم على أرض مصر ترنو اليه الأبصار - لكن الأهم من ذلك الدور الضخم الذى قام به على مر العصور منذ انشائه والذى نتظر أن يقوم به مستقبلا .

ومهما قيل عن الهدف والأهداف التى من أجلها أقيم هذا البناء الضخم - كما سنذكر - فلقد كان تأثير الأزهر ورجاله على مر العصور عميقا فى تاريخ وحضارة المنطقة كلها والتى وصل اشعاعه ونوره اليها .

ولم يقتصر دوره على الناحية الدينية وهى التى اهتم بإبرازها العلماء والكتاب والمؤرخون - لكن كان له دور قوى وفعال فى المجال السياسى والحضارى لا فى مصر والعالم العربى فحسب بل وفى العالم بأسره وفى القارة الافريقية بصفة خاصة .

وهذا الدور السياسى والحضارى الافريقى هو موضوع هذا الكتاب • ولا يمكن أن يدعى الكتاب أنه غطى كل جوانب هذا الموضوع الضخم فلاشك فى أن الكثير يمكن أن يكشف عنه النقاب - لكن لعل هذا البحث يفتح الطريق لأبحاث عدة - تقوم على الاحصاءات والبيانات الدقيقة وتكشف النقاب عن الجهود الصادقة التى بذلها رجال الأزهر فى صمت وفى تضحية فى أنحاء كثيرة من القارة الافريقية التى كانت ومازالت فى مسيس الحاجة للمزيد من هذه الجهود •

ولا يرمى الباحث من وراء بحثه هذا أن يوفى الذين بذلوا وضحوأ حقهم من المدح والثناء - بقدر ما يهدف الى أن يدفع لمزيد من البذل والعطاء فالقارة مازالت رغم التقدم البارز الذى حدث منذ الخمسينات من هذا القرن - فى حاجة ماسة للمزيد من جهود وتضحيات أمثال هؤلاء الجنود الذين تدربوا فى ربوع هذا الصرح منذ انشائه فى عام ١٩٧٢ م وانتشروا يكافحون الجهل والخرافات والأوهام ، ويدعون الانسان فى كل مكان ليحتل مكاتته السامية التى تميز بها عن سائر المخلوقات دون نظر لجنسه أو لونه ويتمتع بحقوقه الطبيعية التى داس عليها المستعمرون وجرده منها •

والله ولى التوفيق

لندن - ديسمبر ١٩٨٧

تاريخ الأزهر منذ نشأته الى اليوم

محتويات الفصل :

- انشاء الأزهر ، والهدف من ذلك •
- مكاتبه في العهد الفاطمي ، والأموي ، والمملوكي
والعثماني •
- تطور نظام التعليم في الأزهر والقوانين التي صدرت
لذلك :
- ١ — قانون ١٨٨٥ بخصوص من يقوم بالتدريس
في الأزهر •

- ٢ - قانون عام ١٨٩٦ .
- ٣ - قانون عام ١٩٠٨ .
- ٤ - قانون عام ١٩١١ .
- ٥ - قانون عام ١٩٣٦ .
- ٦ - القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، ونشاط معهد
البحوث الاسلامية ، ومجمع البحوث الاسلامية
في ظلّه .

في ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ (أبريل سنة ٩٧٠ م)
وضع جوهر الصقلي قائد جيش المعز لدين الله الفاطمي حجر
الأساس للجامع الأزهر ، وقد تم بناؤه في ١٧ من رمضان
سنة ٣٦١ هـ (٢٢ يونيو سنة ٩٧٢ م) . أى أن البناء استغرق
عامين . ومنذ ذلك التاريخ غدا منارة للمسلمين . ولم يقتصر
أثره على الناحية الدينية ، بل كما سنرى انه أصبح قلعة من
قلاع العلم والمعرفة ينفذ إليها الطلاب من شتى الديار والأقطار .

ويقع الأزهر في الجنوب الشرقي من مدينة القاهرة التي
بناها جوهر الصقلي على مقربة من القصر الكبير الذي أنشأه
المعز لدين الله ونقش على دائرة القبّة ما يلي :

« أمر بينائه عبد الله ووليه أبو نسيم الامام المعز لدين الله
أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آباءه وأبنائه الأكرمين

على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة
ستين وثلاثمائة» (١) •

وقد اختلفت الأراء حول تسمية (الأزهر) بهذا الاسم -
فقيل انه اذلق عليه أول الأمر اسم جامع القاهرة ثم سمي باسمه
الجان نسبة الى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله
عليه وسلم والتي ينتسب اليها الفاطميون ، وذهب البعض الى
أن هذا الاسم نسبة الى كوكب الزهرة (٢) •

وكان بناؤه بهدف أن يكون مركزا للمناداة بمذهب
السنة - لكن الأمر لم يقتصر على هذه الناحية فقد أصبح
الأزهر من الأركان الرسمية للدولة الفاطمية ، فبالإضافة الى
الناحية الدينية كان يجتمع فيه الخلفاء بالشعب بوجهون ويأمرون
ويتدارسون فيه المشاكل • وكان جوهر يجتمع فيه بالمسلمين
ليعلن لهم الأوامر الصادرة من الحاكم بخصوص الشؤون
التنظيمية للدولة الجديدة • فالهدف من انشائه كان عدة أمور
دينية وثقافية ، وتنظيمية اذ يعلن الحاكم الفاطمي فيه اتجاه
الدولة الديني والسياسي (٣) •

(١) دائرة المعارف الإسلامية - ٣ ، ص ١٨٢ •

(٢) محمد عبد الله قاضي وآخرون : الأزهر ، في ١٢ جلد (١٩٦٤)

ص ١١٠ •

(٣) أحمد محمد عوف (دكتور) : الأزهر في ألف عام (١٩٨٢) ،

ص ٣٧ •

ولقد أسهم الأزهر في العهد الفاطمي، بنصيب كبير في الحركة العلمية حيث كانت تعقد فيه حلقات لدراسة الدين واللغة ، والأدب ، والقراءات ، والنحو والمنطق والفلك - كما كان مركز التعريف ببعض نواحي الحياة الرسمية في الدولة ، فكانت تعقد به الاجتماعات الهامة وتصاغ الاتفاقيات الرسمية ، كما كان مركز الاحتفالات الرسمية .

وقد استجلب الفاطميون للأزهر خيرة فقهاء وعلماء الشيعة وقضاتها وأغدقوا عليهم المال والعطايا ونقلوا إليه كثيرا من الكتب من مخلف الخزائن ، وشجعوا طلاب العلم من البلاد الإسلامية الأخرى للالتحاق به ، وكانوا بين الوقت والآخر يجرون توسعا في مبانيه وأروقته ، وخصصوا أموالا ثابتة لتنفق على الأزهر وعلى طلابه ، ومنذ ذلك الوقت ونتيجة لهذا الاهتمام ارتبط اسم الأزهر برسالة العلم وأصبح منارة علمية كبرى (٤) .

ولما قامت الدولة الأيوبية على أنقاض الدولة الفاطمية أهمل شأن الأزهر وشجع الأمويون علماء الأزهر على تركه والتدريس في المدارس التي أسسوها كما أبطلت صلاة الجمعة فيه .

(٤) محمد سليمان : دور الأزهر في السودان (١٩٨٥) ص ١٠

لكن عاد الأزهر للاتعاش في العهد المملوكي ، وعادت اليه مكاتته العلمية ، فقد أعاد الظاهر بيبرس خطبة الجمعة بالأزهر ، وأوقف كثيرا من سلاطين المماليك الأموال عليه . وعادت حلقات الدرس التي كانت تعقد فيه ، وعين مشرف لرعاية شئونه ، كما عين له امام يصلى بالناس فيه وتعددت أروقة الأزهر وأصبحت تقد اليه مجموعات من مختلف الأقطار الاسلامية نكل مجموعة منها رواق خاص بها .

وعادت للأزهر في هذا العهد المملوكي مكاتته للأعمال الرسمية - فكانت تملئ فيه المنشورات العامة والأوامر التي يصدرها الحكام ، كما كانت لرجاله كلمة مسموعة فكان يلجأ اليوم المظلوم يطلب تدخلهم لرفع الظلم عنه - كما شغل علماء الأزهر عدة وظائف هامة في الدولة . وهكذا أصبح الأزهر مركز الحركة العلمية والثقافية والسياسية في الدولة ، وأصبحت مصر بفضلها « أم العالم وينبوع العلم » كما ذكر ابن خلدون وهو أحد العلماء الذين وفدوا لمصر وتولوا التدريس في الأزهر (٥) .

وأصاب الأزهر في العهد العثماني ما أصاب مصر وغيرها من أقطار العالم العربي من ركود فكري وحضاري اذ ان العثمانيين عمدوا الى نقل أمهات الكتب الفريدة في مختلف

(٥) ابن خلدون في المقدمة .

العلوم الى الأسيثانة - لكن على الرغم من ذلك فقد ظلت للأزهر مكاتته في علوم الدين ، واللغة •

وقرب نهاية القرن السابع عشر الميلادي (١٦٩٠ م) أنشئت وظيفة شيخ الأزهر وكان أول من أسندت له هذه الوظيفة الشيخ محمد عبد الله الخراشي (١) •

ورغم ما أصاب الأزهر في العهد العثماني فقد استمر في رسالته لنشر الثقافة العربية والاسلامية لا في مصر وحدها بل وفي أقطار أخرى متعددة • وقد أظهر بعض سلاطين العثمانيين احترامهم للأزهر ليكسبوا على الأقل قلوب المصريين الى جانبهم ، وليظهر السلطان العثماني أمام المصريين بأنه حاكم مسلم مثلهم ، وهو سني مثلهم ، ولذلك فهو لا يختلف عنهم في اظهار احترامه وتقديره للأزهر •

ويقال ان السلطان سليم الأول بعد فتحه لمصر ظل خلال الشهور الثمانية التي قضاها فيها يتردد على الأزهر ويحرص على أداء صلاة الجمعة فيه ويوزع الخيرات على مجاوريه (٢) •

(٦) حنى عبد العظيم : مشيخة الأزهر منذ انشائها حتى الان (١٩٧٨)

ص ٤٤ •

(٧) عبد العزيز الشناوى (دكتور) : دور الأزهر في الحفاظ على

الطابع العربي لمصر ابان العهد العثماني ص ٢٨ •

وقد ترجم له المؤلف وعرف به وبمؤلفاته ومكاته - المرجع السابق

ص ٥١ ، ص ٥٨ •

وقد كان الطالب يلتحق بالأزهر — بعد أن يتعلم القراءة والكتابة وعلوم الحساب وغيره من علوم الرياضة وحفظ القرآن في المساجد والكتاتيب الملحقة بها والمنتشرة في مصر .

وكانت الدراسة في الأزهر على نظام الأروقة ، وقد تعددت هذه الأروقة — كما سنشير — لكثرة الوافدين على الأزهر طلباً للعلم من مختلف الأقطار العربية والأفريقية .

وكان الطلبة يدرسون عن شيوخهم علوم التفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، والنحو ، والبلاغة ، والفلسفة ، والمنطق . ولم تكن الدراسة سهلة يسيرة ، ولم تكن حياة هؤلاء الدارسين مرفهة ، فقد كان غالبية الطلبة يعيشون حياة تقشف في المآكل والملبس والفراش ، ويعانى الفقراء منهم من قسوة الحياة ما لا يحتمله الا راغب في العلم ومقدر لما يتطلبه ذلك من تضحيات ، فهم يجدون في طلب العلم والبذل من أجله سعادة وطمأنينة ، ويفنيهم ذلك عن متاع الدنيا وزينتها .

مرت السنون على الأزهر وهو يؤدي رسالته العلمية هذه ، وأتى اليه الوافدون من مختلف الأقطار طلباً للتلمذ على مشايخه وأساتذته ، ويزداد عدد الوافدين يوماً بعد يوم ، ويعود منهم من يعود الى بلاده حاملاً أضواء المعرفة التي

اكتسبها فينشر في موطنه الأصلي قبسا من هذا الضوء ويدفع ذلك غيرهم للحضور لمصدر هذه المعرفة • وهكذا أصبح الأزهر كعبة للعلم والمعرفة يحج إليها ويستقر في أروقتها من يريدون المزيد من العلم والمعرفة •

ولكن الأمر لم يقتصر على هذه الرسالة العلمية والتثقيفية والدينية بمفهومها الضيق فقد أمت بمصر - بلد الأزهر - وألم بالمسلمين وبالعرب في مختلف أقطارهم وأمت بالمواطنين في البلاد الآسيوية والافريقية بالذات أحداث • ورأى المثقفون والرواد من رجال الأزهر انه ليس من العلم وليس من الدين ولا يتواكب مع المعرفة التي ينشدها الأزهر ورجاله أن يقف للأزهر ورجاله والذين تثقفوا بين ربوعه وفي أروقه موقفهم الأحداث موقف المتفرجين المشاهدين فحسب ، ومن هنا كان الأزهر رجاله والمثقفون الذين نهلوا من منابع العلم فيه من هذه من الأحداث الهامة التي أمت بمصر وبالعالم العربي ، وبالمسلمين في مختلف الأقطار الآسيوية والافريقية فكانت مشاركة الأزهر في مقاومة الاستعمار والمستعمرين وفي مساندة حقوق المواطنين في كل هذه الأقطار مضرب الأمثال •

وبرز دور الأزهر حين احتل الفرنسيون مصر ، وفي التعبير عن آمال الشعب والآمه حين استبد الحكام بالأمر منذ عصر

محمد على ، فكان للأزهر ورجاله دور واضح في قيادة الحركة الوطنية ضد الاستبداد والاحتلال • وظل الأزهر يلعب دوره القيادي الى يومنا هذا ، وهو ما سنعرض له بالتفصيل فيما بعد • لكن ما يهمنا هنا هو أن نشير الى التطور الذي طرأ على الدراسة والتدريس في الأزهر والمراحل التي مر بها لأن ذلك يرتبط ارتباطا وثيقا بالدور الذي قام به الأزهر وأثره الحضارى في القارة الافريقية بالذات •

كان الأزهر في البداية يمد المدارس الابتدائية والثانوية في مصر بحاجتها من المدرسين فقد قام التعليم على أكتاف خريجه خاصة قبل أن يتطور التعليم في مصر ويتجه لاعداد متخصصين في مختلف المجالات •

وكان يقوم بالتدريس في الأزهر نخبة من المشهود لهم بالعلم والمعرفة وبعضهم كان لهم من الصيت والشهرة ما يدفع بعض طالبى العلم من البلاد المختلفة لتجشم المشاق للحضور لمصر للتزود بالعلم على أيدي هؤلاء العلماء فكان لهم تلامذتهم ومريدوهم الذين يفدون خصيصا للتلمذ عليهم •

وقد تطور نظام التعليم في الأزهر وصدرت عدة قوانين للإصلاح نذكر منها :

اولا - قانون عام ١٨٨٥ بخصوص من يتصدى للتدريس في الأزهر :

صدر هذا القانون في مشيخة الامام الشيخ محمد المهدي العباسي الذي تولى مشيخة الأزهر في عام (١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م) فعكف على وضع قانون للتدريس في الأزهر ، وكان الأمر قبله قائما على أن من آس في نفسه القدرة على التدريس تصدى له ، فألقى درسا يحضره شيوخه فاذا آذنوا له ظل قائما بها . وبالطبع كان هذا الأسلوب يفتح ثغرات في الوصول الى منصب التدريب فاندس بين علماء الأزهر من لا يستحق هذه المنزلة (٨) .

ويقضى القانون الجديد بأن يعقد للمتقدم لوظيفة التدريس في الأزهر امتحان في احد عشر علما من العلوم المتداولة بالأزهر وهي : التفسير ، والحديث ، والتوحيد ، والفقه ، وأصول الفقه ، والنحو ، والصرف ، والمعاني ، والبيان ، والبدع ، والمنطق .

فلا بد أن يكون المتقدم للامتحان قد درس هذه المواد بالأزهر وأن يلم بمصادرها - ويتقدم بطلب لشيخ الأزهر يبدى فيه رغبته في الالتحاق بجماعة العلماء المدرسين - فاذا استوفى شروط التقدم للامتحان يطلب منه اعداد درس في كل من فنون

(٨) انظر الجبرتي : هجائب الاسار ، ج ٧ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٢ ، وكذلك على عبد العظيم : مرجع سابق ، ص ٢٤٣ وما بعدها .

المعرفة المطلوبة ، وتشكل لجنة الامتحان من ستة من أكابر العلماء الموثوق في علمهم ، وتنعقد اللجنة في بيت شيخ الأزهر حيث يلقي الطالب الدرس المطلوب ويناقشه العلماء الحاضرون . فاذا اجتاز الامتحان سمح له بالتدريس ، وكان عادة لا يسمح بدخول هذا الامتحان الا لعدد محدود لا يتجاوز عادة ستة في العام الواحد (٩) .

ثانيا - لقانون عام ١٣١٤ هـ - ١٨٩٦ م :

يرجع الفضل في وضع هذا القانون الى الشيخ حسونه النواندى الذى تولى مشيخة الأزهر لأول مرة في عام ١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م ، فبادر بوضع قانون لاصلاح الأزهر وعاونه في هذا الامام الشيخ محمد عبده . ويقوم هذا الاصلاح على أساس ادخال العلوم الحديثة مثل الحساب ، والجبر ، والهندسة ، وعلم تقويم البلدان (الجغرافيا) ، والتاريخ - في الأزهر ، كذلك وضع القانون شروطا لاتساب الطلبة الى الأزهر .

وأنشأ هذا القانون شهادة تسمى (الشهادة الأهلية) يتقدم اليها من قضى بالأزهر ثمانى سنوات ، ويؤدى امتحانا شفويا أمام ثلاثة من العلماء برئاسة شيخ الأزهر ، كما أنشأ القانون

(٩) على عبد العظيم : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(شهادة العالمية) ويتقدم لها من قضي بالأزهر اثني عشر عاما
على الأقل ويؤدى امتحانه أمام لجنة من ستة من العلماء برئاسة
شيخ الأزهر •

وقد شمل هذا التنظيم الذى وضع للأزهر نواحي الادارة
والنواحي المالية ، وغير ذلك من وسائل الاصلاح المتصلة
بالتدريس ، والمناهج والامتحانات •

ثالثا - قانون عام ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م (١٠) :

صدر هذا القانون فى عهد المشيخة الثانية للشيخ حسونه
النواندى ، وقد أصبح يدير الأزهر بموجب هذا القانون
مجلس عال من ستة أعضاء هم مفتى الديار المصرية ، وشيخ
الشافعية ، والمالكية ، والحنابلة ، واثنان من موظفى الدولة ،
ويرأس المجلس شيخ الأزهر •

ونظمت الدراسة فى الأزهر فى ثلاث مراحل أولى ، وثانوية،
وعالمية - ومدة الدراسة فى كل مرحلة منها أربع سنوات
ويمنح الطالب فى النهاية الشهادة العالمية •

(١٠) ابن يربد تفاصيل هذه القوانين يرجع الى :

حسن النواوى : وآخرون : قانون تنظيم الأزهر •

وكذلك : محمد الطيب النجار (دكتور) : الأزهر الشريف عبر عدة قرون

بحث منشور فى منبر الاسلام (مارس ١٩٨٣) •

رابعاً - قانون رقم ١٠ لعام ١٩١١ :

يعتبر هذا القانون من أهم القوانين التي اهتمت بتنظيم شؤون الأزهر والمعاهد التابعة له والتي افتتحت في المدن الهامة في مصر .

وقد حدد هذا القانون اختصاص شيخ الأزهر ، وأنشأ هيئة للإشراف عليه تحت رئاسة شيخ الأزهر أطلق عليها اسم (مجلس الأزهر الأعلى) ، وأوجد القانون (هيئة كبار العلماء) ، وجعل لها نظاماً خاصاً ، ونظم شؤون موظفي الأزهر من حيث التعيين ، والترقية ، والأجازات ، والتأديب ، كما نظم شروط قبول الطلاب وغير ذلك من الأسس التي تنظم سير العمل . وبعد صدور هذا القانون تضاعف عدد الطلاب المتحقيين بالأزهر والمعاهد التابعة له في العواصم المصرية حتى قدر عددهم عام ١٩١٧ م بأكثر من عشرين ألف دارس .

خامساً - قانون سنة ١٩٢٣ م :

جعل هذا القانون كل مرحلة من مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالى - أربع سنوات وأنشأ بعد المرحلة العالية قسماً للتخصص يدخله الطلاب بعد نيل الشهادة العالمية للتخصص في التفسير والحديث والفقه والأصول - النحو والصرف والبلاغة والأدب - التوحيد والمنطق - التاريخ والأخلاق .

سادسا - قانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ :

يرجع الفضل في وضع هذا القانون للشيخ محمد مصطفى المراغى الذى تولى المشيخة عام ١٩٢٨ م ، ولكنه استقال فى عام ١٩٣٠ لخلاف مع الملك فؤاد وحل محله فى مشيخة الأزهر الشيخ محمد الأحمدي الطواهرى ، وفى عهده صدر القانون المشار اليه ، وقد عاد الشيخ مصطفى المراغى الى مشيخة الأزهر ثانية فى عام ١٩٣٥ ، وظل شيخا للأزهر حتى عام ١٩٤٥ .

والقانون الذى صدر عام ١٩٣٠ خطوة هامة فى طريق الإصلاح ، فقد اهتم بتزويد الدارسين بما هم فى حاجة اليه من العلوم والمعارف الحديثة . وبموجب هذا القانون أصبحت الدراسة فى الأزهر على أربع مراحل (١) :

١ - المرحلة الابتدائية - ومدة الدراسة بها أربع سنوات .

٢ - المرحلة الثانوية - ومدة الدراسة بها خمس سنوات .

٣ - المرحلة العالية - وقد انحصرت الدراسة فى ثلاث كليات هى كلية أصول الدين ، وكلية الشريعة ، وكلية اللغة العربية - ولكل منهاجها الخاصة بها .

(١) أحمد محمد عوف : مرجع سابق ، ص ١٢٧ وما بعدها ، وكذلك محمد الطيب النجار ، مرجع سابق .

٤ - المرحلة التخصصية - والتخصص اما :

(أ) تخصص في الوعظ والارشاد .

(ب) تخصص القضاء الشرعى والافتاء .

(ج) تخصص التدريس - ومدته عامان ، وهو تابع

لكلية اللغة العربية ، ويعد الدارس للحصول

على العالمية مع اجازة التدريس ، ويقوم

الخريجون بالتدريس في المدارس العامة أو في

الأزهر الشريف . وتخصص القضاء وهو تابع

لكلية الشريعة ، وتخصص الوعظ وهو تابع

لكلية أصول الدين . وفي جميع هذه

التخصصات - يمنح الدارس شهادة العالمية

مع التخصص في الفرع الذى درس فيه .

(د) تخصص الفقه ، وأصول الدين ، وتخصص

التفسير والحديث ، وتخصص التوحيد

والمنطق ، وتخصص التاريخ ، وتخصص

البلاغة والأدب ، وتخصص النحو والصرف ،

ومدة هذه الدراسة التخصصية خمسة أعوام .

وبموجب هذا القانون انشئت الكليات الثلاثة :

أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية . وبذلك يعتبر القانون

بداية ميلاد جامعة الأزهر فقد أصبحت الدراسة في فصول دراسية بدلا من نظام الحلقات وأصبح نظام المحاضرات هو السائد .
ولا بد من الإشارة الى أن الأزهر منذ انشائه منذ أكثر من ألفى عام لم يكن مكانا للعبادة فحسب بل كان أيضا مكانا للعلم والدرس والتدريس يتجمع الطلاب حول أعمدته مع أساتذتهم يتثقفون ويتعلمون وبناقشون في شئون الدين واللغة وما يتصل بهما - فالأمر لا يعدو أن يكون مرحلة من مراحل التطوير .

سابعا - قانون عام ١٩٣٦ :

صدر هذا القانون في عهد المشيخة الثانية للشيخ مصطفى المراغى وبموجبه ألغى العمل بقانون عام ١٩٣٠ - وان كان هذا القانون لم يغير كثيرا من النظام الذى كان قائما بالأزهر لكنه جسع القوانين السابقة في قانون واحد شامل .

وأصبح التعليم بالأزهر أربعة أقسام :

(أ) ابتدائى : وفترة ٤ سنوات يمنح الناجح بعدها

الشهادة الابتدائية .

(ب) ثانوى : ومدته خمس سنوات يمنح الناجح بعدها

الشهادة الثانوية .

(ج) عال : وهو نفس نظام الكليات الموضح في

القانون السابق .

ثامنا - القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ (١٢) :

يعتبر هذا القانون اصلاحا جذريا شاملا أعلى مكانة الأزهر ، وأضاف علوما عدة الى حصيللة العلوم الدينية والعربية ليستطيع رجل الأزهر أن يسهم بدوره كاملا في جوانب الحياة المختلفة في المجتمع الاسلامي بما توفرت له من خبرات .

وقد عمد هذا القانون الى تحقيق عدة اهداف نذكر منها :

(أ) أن يظل الأزهر أكبر جامعة اسلامية .

(ب) أن يقوم برسائته كحصن للدين والعروبة على خير وجه .

(ج) أن يحصل خريجه على قدر من العلم والمعرفة لا تقل بحال ما عن أقرانهم في الجامعات الأخرى ، مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التي يتميز بها الأزهر .

(د) ألا يتخلف الأزهر في مجال العلوم الحديثة والتطورات السريعة التي طرأت وتطرأ على مختلف مجالات العلم والمعرفة المختلفة .

والقانون من ١٠١ مادة وقد رتب في ستة أبواب :

(١٢) نص القانون موجود في : الأزهر في ١٢ عاما ، مرجع سابق ، ص ١٠٢ - ١٢٨ ، وقد صلد في ٢٢ محرم ١٣٨١ هـ (٥ يولية ١٩٦١) .

الباب الأول :

عبارة عن أحكام عامة – تتعلق بمكانة الأزهر وأهميته •

كما أشار الى طريقة اختيار شيخ الأزهر ووكيله •

وأشارت المادة الثانية في هذا الباب الى هيئات

الأزهر وهى :

المجلس الأعلى للأزهر ، ومجمع البحوث الاسلامية ، وادارة الثقافة والبعوث الاسلامية ، وجامعة الأزهر ، والمعاهد الأزهرية•

الباب الثانى :

يختص بالمجلس الأعلى للأزهر ، فيتحدث عن تكوينه واختصاصاته •

الباب الثالث :

عن مجمع البحوث الاسلامية ، وادارة الثقافة والبعوث الاسلامية – فيتناول تشكيل مجمع البحوث الاسلامية ، وهو من عدد لايزيد على خمسين عضوا من كبار علماء الاسلام ، وتحدث عن الشروط الواجب توافرها في عضو المجمع وعن اختصاصاته ومواعيد انعقاده •

كذلك شرح اختصاص ادارة الثقافة والبعوث الاسلامية •

الباب الرابع :

عن جامعة الأزهر *

فتحدث عن اختصاصاتها – وعن كلياتها وهى :

١ – كليات للدراسات الاسلامية *

٢ – كلية للدراسات العربية *

٣ – كلية المعاملات والادارة *

٤ – كلية الهندسة والصناعات *

٥ – كلية الزراعة *

٦ – كلية الطب *

وأشار الى أنه يجوز انشاء كليات أخرى أو معاهد عالية

تابعة لجامعة الأزهر بقرار من رئيس الجمهورية *

وتحدث عن ادارة جامعة الأزهر ، وشروط القبول بكلياتها

المختلفة وعن مجلس جامعة الأزهر واختصاصاته ، وعن عمداء

كليات الجامعة وطريقة تعيينهم ، وعن مجالس الكليات

واختصاصاتها وهيئة التدريس بها وما يتعلق بها خاصا بشروط

التعيين والنقل والترقية .. الخ *

كذلك حددت المادة ٧٥ الدرجات العلمية التى تمنحها

جامعة الأزهر ومعادلاتها في الدرجات الجامعية التي تمنحها الجامعات الأخرى والشروط الواجب توافرها في الدارسين الذين يتقدمون للحصول على هذه الدرجات العلمية •

ويختص الباب الخامس :

بالمعاهد الملحقة بالأزهر والغرض منها ، ومدة الدراسة بها وإدارتها •

أما الباب السادس :

فهو يتعلق بالأحكام الانتقالية التي تسرى الى أن يتم تنفيذ هذا القانون والتي يحتاج لها الأمر في الفترة ما بين سريان القوانين القديمة وهذا القانون الجديد •

كما أن المادة (٩٩) أشارت الى اللائحة التنفيذية للقانون وما يجب أن تتضمنه •

وهكذا نجد أن هذا القانون وضع في الاعتبار أن جامعة الأزهر ليست جامعة دينية فحسب وإنما هي جامعة دينية علمية •

وقد فتح هذا القانون أمام جامعة الأزهر آفاقا بعيدة ومجالات جديدة ونشاطات متعددة - وبعد أن كانت مقصورة على كلية أصول الدين والشريعة واللغة العربية - أصبحت تلبى رغبات الطلاب في مختلف العلوم والفنون ، وصارت تشمل

كليات الطب والهندسة والتجارة والزراعة والعلوم والتربية ،
والصيدلة واللغات والترجمة ، وأصبح لها فرع للنبات يشمل
كليات العلوم الاسلامية ، والعربية والانسانية ، وكليات للطب
والتجارة والعلوم •

وقد نص هذا القانون على اتاحة فرص القبول للتعليم
بالمجان في كليات الجامعة الأزهرية ومعاهدها للطلاب المسلمين
من كل جنس وكل بلد ، ووضع نظاما للدراسات الخاصة لطلاب
البعوث من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة •

وقد فصل القانون نظام ادارة الجامعة الأزهرية ونظام
العمل بكلياتها وواجبات وحقوق أعضاء هيئات التدريس بها ،
والدرجات العلمية التى يمنحها الأزهر وكلياته - بحيث أصبح
الأزهر فى ضوء هذا القانون يّودى رسالته العلمية - بالاضافة
الى رسالته الدينية - كأرقى وأعرق الجامعات العالمية •

وبالاضافة الى الجامعة الأزهرية تعرض القانون للمعاهد
الأزهرية المتعددة ، وهذه المعاهد تمد طلابها بالثقافة الاسلامية
والعربية الى جانب الخدمات والمعارف التى يتزود بها نظرائهم
فى المدارس العادية ، ويتيح لهم الحصول على الشهادة الاعدادية
ثم الثانوية ، وتفتح لهم المجال للاستمرار فى الدراسة فى كليات
جامعة الأزهر أو غيرها من الجامعات والمعاهد العليا فأصبحت
لطلاب المعاهد الأزهرية فرص متساوية بينهم وبين زملائهم طلاب

مدارس التعليم العام • ونظم القانون واللائحة التنفيذية طريقة
ادارة هذه المعاهد الأزهرية ، ونظم العمل والدراسة بها ،
وشروط القبول • وقد تضاعف عدد هذه المعاهد الأزهرية
وأصبحت هذه المعاهد مراكز قيادية للاشعاع دينيا وعلميا
 واجتماعيا •

ومن أهم المعاهد الأزهرية التي تطورت في ظل النظام الجديد

معهد البحوث الاسلامية :

فقد كان في البداية قسما يلتحق به الطلاب من الذين لم
تؤهلهم سنهم للاتحاق بالمعاهد النظامية ، وكانوا خليطا من
المصريين والوافدين من البلاد الافريقية والآسيوية •

ولكن تطور الأمر فخصص معهد للطلاب الوافدين من
شتى الأقطار الآسيوية والافريقية •

وأعد للمعهد بناء خاص أقيم على مساحة خمسة أفدنة ،
وأقيمت به المدرجات والفصول الدراسية والحمامات والملاعب ،
وأماكن للإدارة وغيرها ، وتكلف انشاؤه ١٥٠٠٠٠٠ جنية •

وقد تضاعف عدد الطلاب الوافدين الى الأزهر من البلاد
الافريقية والآسيوية •

وفي احصاء ١٩٦٤ كان عدد الوافدين من البلاد الافريقية كالاتى (١٣) :

العدد	الدولة
١٧٩	ليبيا
٢٦	الجزائر
١٠	تونس
٣	المغرب
٦٦٤	السودان
١٠٦	الجيشة
٤٠٩	ارتريا
١١٦	الصومال
١٤	السنغال
٣٥	غينيا
٥٠	مالي
٤٩	نيجيريا
٥١	النيجر
٥٥	غانا
٢	غينيا

(١٣) الاظهر في ١٢ عاما ، مرجع سابق ، ص ١٥٨ وما بعدها .

العدد	الدولة
١٨	ساحل العاج
٤	مدغشقر
٢٢	موريتانيا
١٣	فولتا العليا
٦٩	سيراليون
٢١	الكونغو
١	داهومي
٢	رواندا أوراندي
١٠	ليبيريا
١٥	توجولاند
٩	تنزانيا
١٦	كينيا
١٦٦	تشاد
١٠	أوغندا
٢٠	زنجبار

وقد تضاعفت هذه الأعداد فيما بعد كما سنشير في الفصول

التالية *

ومن هيئات الأزهر التي نص عليها القانون :

مجمع البحوث الإسلامية (١٤) :

وقد حدد القانون شروط العضوية في هذا المجمع وهيئاته
الثلاثة وهي : المؤتمر ، مجلس المجمع ، والأمانة العامة •

ومؤتمر المجمع من خمسين عضوا على الأكثر ، ثلاثون منهم
من مواطني الجمهورية العربية المتحدة والباقيون من جنسيات
مختلفة •

وعمل مجمع البحوث الإسلامية يتلخص في العمل على
تجديد الثقافة الإسلامية وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات
مذهبية ، وتتبع ما نشر عن الإسلام وتراثه من بحوث الأجانب
للاتفافع بها أو مواجهتها ، ورسم نظام بعوث الأزهر الى العالم
الخارجي ومنه •

ويعمل مجمع البحوث الإسلامية على توطيد أو اصر التعاون
بين علماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها •

ويتبع المجمع :

١ - ادارة البحوث الإسلامية •

(١٤) المادة ٨ من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ •

٢ - ادارة الدعوة والارشاد .

٣ - ادارة البحوث والنشر .

وقد عقد المؤتمر أول اجتماعات في ٢٣ شوال ١٣٨٣ هـ
(٧ مارس ١٩٦٤) وحضر المؤتمر أعلام المسلمين وأئمة التوجيه
الاسلامي وقادة الرأي في ٤٢ دولة .

وقد انتهى المؤتمر أعماله بعدة توصيات تحدد خطة العمل
للمجمع وتبين أوجه نشاطه .

الوافدون على الأزهر والمبعوثون منه ودورهم فى نقل الحضارة والثقافة العربية الى الأقطار الإفريقية الأخرى

محتويات الفصل :

- علاقة العرب بإفريقيا وتطورها بعد ظهور الاسلام .
- الطلبة الوافدون للأزهر من مختلف الأقطار الإفريقية ،
ودور الأزهر فى مداهم بالعلم والمعرفة ، وتيسير
حضورهم واقامتهم فى مصر (الأروقة ، مدينة البعوث
الاسلامية ، المنح الدراسية ..) .
- مبعوثو الأزهر للدول الإفريقية .
- دورهم فى نشر العلم فى هذه البلاد فى المراحل
التعليمية المختلفة ، قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١

وما تضمنه عن المبعوثين - الشروط التي يشترط
توافرها في المبعوث *

— علماء الأزهر ودورهم في البلاد الأفريقية *

— المراكز الإسلامية الأفريقية ودور الأزهر في دعمها *

— المؤتمرات الدورية لبحث القضايا الدينية وغيرها من
القضايا التي تهم العالم الإسلامي ، وكذلك حضور
علماء الأزهر للمؤتمرات الإسلامية *

— تزويد المعاهد والجامعات الأفريقية بالكتب والأدوات
اللازمة *

— فحص المصاحف والكتب المتداولة في الدول الأفريقية
والتأكد من سلامة ما تحتويه *

قبل الحديث عن الوافدين الى الأزهر من طلاب العلم
والمعرفة أو المبعوثين من علمائه الى مختلف الأقطار الافريقية لابد
من اشارة سريعة الى علاقة العرب بافريقيا وتطورها بعد ظهور
الاسلام .

العلاقات العربية الافريقية قديمة فقد جاء العرب من شبه
الجزيرة العربية للساحل الشرقى لافريقيا المواجه لشبه الجزيرة
واستقروا فى هذه المناطق الافريقية وأصبح لهم تبادل تجارى
مع السكان الافارقة ، واستقر بعض التجار العرب فى هذه
المناطق الافريقية وكونوا امارات عربية نمت وازدهرت وشهد
بعظمتها وتحضرها كل من زارها بعد ذلك من الرحالة العرب
والأجانب (١) .

Coupland, R. : East Africa and Its Invaders (London (1)
1938) P. 155.

وفي فجر الاسلام أمر النبي صلى الله عليه وسلم أتباعه
بالهجرة للحبشة - فكانت الحبشة من أولى البلاد الافريقية
التي اتصل بها العرب المسلمون وأثروا فيها •

وبعد أن استقر الأمر للمسلمين في شبه جزيرة العرب ،
أخذوا يمدون نشاطهم خارج شبه الجزيرة ، وكان استيلاء
المسلمين على مصر في عام ٢١ هـ - ٦٤١ م ايذانا بامتداد
سلطانهم على الشمال الافريقي كله فتوالت حملاتهم على هذه
البلاد التي كانت خاضعة لنفوذ البيزنطيين رسميا ، وان كان
النفوذ الحقيقي فيها في يد قبائل البربر •

ففي عهد الخليفة عثمان بن عفان أرسلت حملة بقيادة
عبد الله بن حسن بن أبي السرح عامل مصر استطاعت أن توقع
الهيمنة بجيوش قرطاج • وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان جهز
جيشا ضخما من عشرة آلاف مقاتل التقى بالبربر والبيزنطيين
وتوغل الجيش الاسلامي في تونس • وفي عام ٦٦٦ م أعطيت
قيادة الجيش العربي في الشمال الافريقي لعقبة بن نافع الفهري
فبنى مدينة القيروان في قلب البلاد التونسية ليطلع الفتح العربي
بطابع الاستقرار ، فكانت هذه هي الخطوة الأولى نحو ظهور
ولاية اسلامية بهذه البلاد • وفي خلافة يزيد بن معاوية خرج
عقبة بن نافع بجنده يتصدى للاستيلاء على الشمال الافريقي

كله وضمه لحوزة العرب فتقدم في بلاد المغرب حتى وصل الى طنجة واستسلم له أميرها الروماني پوليان كما تقدم في بلاد السوس الأدنى والسوس الأقصى ووصل الى المحيط الأطلسي .
وهكذا خضع الشمال الافريقي كله للدولة الأموية ،
واتشر الاسلام في ربوعه - لكن اضطر الجيش العربي بعد ذلك للانسحاب الى طرابلس بسبب ثورة البربر واحتاج الأمر لجهود أضخم ليسترجع المسلمون مكاتهم في الشمال الافريقي (٢) .

وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ندب قائدا من أشهر قواده هو حسان بن النعمان الغساني لمتابعة الفتح والوقوف في وجه البربر وزعيمتهم التي اشتهرت باسم الكاهنة ، ونجح حسان في تحقيق هذا الأمر فهزم جيوش البربر وانتهى الأمر بقتل الكاهنة عام ٨٤ هـ ودخل البربر بعد ذلك في الاسلام وكان منهم اثنا عشر ألف مجاهد مع جيوش المسلمين .

وتولى الأمر في افريقية بعد ذلك موسى بن نصير فنشر الأمن في ربوع الشمال الافريقي وأجاز مولاة طارق بن زياد الى بلاد الأندلس في جيش عظيم من العرب والبربر فاجتاز المكان

(٢) لم يريد تفاصيل هذه الأحداث ، يرجع الى شوقي الجمل :
المغرب العربي الكبير في العصر الحديث : ١٩٧٧ ، ص ٧ وما بعدها .

الذى عرف باسمه (جبل طارق) وفتح الأندلس ودخل الشمال
الافريقي كله في حوزة الأمة العربية وأصبح كما قلنا يمثل
الجناح الغربى للعالم العربى والاسلامى .

ولم تقف أهمية هذه الأحداث عند هذا الحد . . . فن
المغرب الأقصى اندفع العرب الى غرب افريقيا . فقد بدأ المغرب
الاسلامى يؤثر فى غرب افريقيا ببعيدته وثقافته - خاصة أن
البربر المسلمين أخذوا يهاجرون فى موجات متتابعة نحو الجنوب ،
فوصلت دعوة الاسلام الى ضفاف نهر السنغال ، وتقدمت
جنوبا حتى منحنى النيجر ، ومنذ القرن الثامن الهجرى ازدهرت
الممالك الاسلامية فى نطاق السودان الغربى (٣) .

أما عن الذين نقلوا الحضارة والثقافة العربية الى الأقطار
الافريقية والوسائل والطرق التى انتقلت بها هذه الحضارة
الى مختلف أنحاء القارة :

١ - الطلبة الوافدون (الى الأزهر) :

منذ تحول الأزهر الى جامعة علمية بدأ يستقبل الطلاب
الوافدين من أبناء البلاد الاسلامية وتزويدهم بالعلم والمعرفة ،
وكان عدد كبير من الوافدين منهم من الدول الافريقية ، وبمضى

(٣) بسرى الجوهري : افريقيا الاسلامية ، ١٩٨٠ ، ص ١٦ .

الوقت وازدهار وتطور التعليم في الأزهر ازداد عدد الوافدين اليه من مختلف الأقطار الأفريقية •

ولم تمدنا المصادر بإحصائيات دقيقة عن عدد الطلاب الوافدين للأزهر للدراسة من مختلف الأقطار الأفريقية خاصة في السنوات الأولى من تاريخه ، ولعل أول ما وصلنا في هذا الصدد ما ذكره المقرئزي من أنه في سنة ٨١٨ هـ أي في القرن التاسع الهجري « بلغ عدد من يقيمون في الجامع الأزهر للدراسة ٧٥٠ رجلا ما بين عجم ، وزبالعة ومن أهل ريف مصر ، ومغاربة وانه كان كل طائفة منهم رواق عرف بهم » (٤) •

وقد أشار المقرئزي الى أنه في أيام وزارة يعقوب بن كلس بنيت للوافدين للأزهر دور لايوائهم ، وانه كان يعطيهم من ماله الخاص ويخلع عليهم في الأعياد خلعا وهدايا - وانه كان يفرد للنساء مجالسا خاصة يتعلمن فيها •

ويشير الى أن الأزهر ظل لمدة طويلة منارا للعلم والمعرفة ، ولم يكن له في البداية دور رئيسي في السياسة (٥) •

ومما ذكره المقرئزي يتضح لنا انه قد خصصت أروقة

(٤) المقرئزي : المواظ والاعتبار بذكر الخطط والانار (طبعة بولاق ،

سنة ١٢٧٠ هـ) ج ٣ ، ص ١٦٣ .

(٥) الخطط ج ٢ ، ص ٢٢٦ .

بالأزهر للوافدين من طلاب العلم ، وقد وفر لهم الأزهر اقامة مستقرة في أروقتة كما أجرى عليهم المرتبات ليتفرغوا للعلم والمعرفة .

ومن أهم الأروقة الإفريقية في الأزهر التي جاء ذكرها في المراجع المختلفة (٦) :

١ - رواق السنارية : وقد خصص للوافدين من سنار .

٢ - رواق الدارفورية : وقد خصص للوافدين من دارفور .

٣ - رواق البرنية : وقد خصص للطلبة الوافدين من مناطق غرب افريقيا . (ساحل الذهب ، والسنگال ، وغينيا ، ونيجيريا) .

(٦) لمزيد من التفاصيل عن هذه الأروقة يرجع الى على مبارك : الخلط التوفيقية (طبعة ١٣٠٤ هـ) ج ٤ ، وكذلك منصور على رجب : الأزهر بين الماضي والحاضر (١٩٤٦) ، ص ٢٥ وما بعدها .

ملاحظة : اشار الجبرتي المؤرخ المعروف الى ان جده السابع الشيخ عبد الرحمن رحل من الحبشة الى مصر في أوائل القرن العاشر الهجري ، وجاء الى الأزهر ونولى مشيخة رواق الجبرية . وقد جاء ذكر كثر من الأقباش الذين وفدوا للأزهر مثل الشيخ فخر الدين عثمان بن علي والمتوفى عام ٧٤٣ هـ - ١٣٤١ م ، والشيخ على الجبرتي وكان مقربا للسلطان قاتبای ، وعدد كبير ممن ذاعت شهرتهم العلمية في المجتمع الاسلامي ، بالحبشة .

لمزيد من التفاصيل انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : العلاقات بين مصر والحبشة (١٩٧٥) ص ٧ وما بعدها .

٤ - رواق الجبرتية : وقد خصص للطلبة الوافدين من شرق افريقيا من الحبشة واريتريا والصومال *

٥ - رواق البربر : خصص للطلبة من موريتانيا والمناطق المجاورة *

٦ - رواق الدكارنة : (أو الصليحية) - خصص للطلبة الوافدين من منطقة تشاد والمناطق المجاورة *

٧ - رواق المغاربة : خصص للطلبة الوافدين من بلاد الشمال الافريقي ، (تونس ، الجزائر ، المغرب) وهو رواق كبير وهام *

٨ - رواق الفلاتة : خصص لأهل افريقيا الوسطى *

وقد كان لكل من هذه الأروقة مكتبته العامرة بالمجلدات العلمية النادرة ليستفيد بها الدارسون *

الا أنه كثرت بعد ذلك أعداد الطلبة الوافدين من مختلف البلاد الافريقية شمالها وغربها وشرقها - والاحصائيات التي لدينا عن الطلاب الوافدين المقيدين في الأزهر منذ الثلاثينات من هذا القرن تدل على ذلك *

وان كنا لازلنا نفتقر الى احصائيات تفصيلية أكثر دقة *

ومنذ الخمسينات من هذا القرن زاد عدد الوافدين للأزهر من
دول افريقيا زيادة واضحة *

والأزهر يعطى الوافدين اليه من مختلف الأقطار الافريقية
عناية خاصة ، فادارة الأزهر تبدل جهدا كبيرا في سبيل توفير
الراحة لهم وتحقيق مطالبهم المختلفة وتعتبرهم ضيوف مصر
وسفراءها الذين سيجملون راية الاسلام وتعاليمه الى أبناء
جنسهم * وكانت من ثمرات هذه الرعاية أن أصبح الوافدون
الذين تخرجوا في الأزهر من الدعائم القوية في توثيق علاقة مصر
ببلاد كثيرة وشعوب افريقية متعددة واكتسب الأزهر بذلك في
المحيط الافريقي قدسية ونال المنتسبون اليه من هذه الشعوب
احتراما وتقديرا (٧) *

وقد زاد عدد الوافدين على الأزهر من طالبي العلم ، ومن
علماء بغداد بعد سقوط بغداد في يد التتار ، فأصبحت للأزهر
مكانة خاصة في العالم الاسلامي ، كما أن احياء الخلافة العباسية
في مصر في عام ١٢٦١ جعل لمصر وللأزهر مكانة خاصة في
العالم الاسلامي *

وكان الطلاب الوافدون الى الأزهر يقيمون - كما أشرنا -
في الأروقة ، ولما زادت أعدادهم أسكنوا في إحدى عمارات

(٧) الأزهر ، في ١٢ عاما ، مرجع سابق ، ص ٢١١ .

معهد القاهرة - ثم استؤجرت لاقامتهم بيوت وعمارات سكنية - ولكن اهتمت الحكومة المصرية أخيرا ببناء مدينة خاصة للوافدين ، فأقيمت (مدينة البحوث الاسلامية) على مساحة ثلاثين فدانا تتسع لأكثر من خمسة آلاف طالب وتتخللها الحدائق والمنتزهات ، وتضم المدينة ٤١ عمارة سكنية يتكون كل منها من ثلاثة طوابق ، وكل دور من جناحين وأعدت بالإضافة الى ذلك حجرات متسعة للمذاكرة ، وأماكن للاطلاع ، وأقيم بالمدينة مسجد متسع على الطراز العربي ، وزودت المدينة بالخدمات الممتازة لساكنيها سواء من الناحية الطبية أم الخدمات العامة - فقد أقيم بها مستشفى خاص ، وزود بكل ما يحتاجه لتقديم الرعاية الطبية للوافدين .

كذلك زودت المدينة بمغسل ميكانيكى ، ومضخة خاصة لرفع المياه ، كما زودت بشبكات التليفون بالإضافة الى المرافق الأخرى اللازمة ، كما أنشئت بها جمعية تعاونية استهلاكية .

كما أقيم بها استاد رياضى وغير ذلك من أماكن للترفيه^(٨) .

هذا وقد حددت الأهداف من انشاء المدينة فيما يلى :

(٨) نفس المرجع السابق ، ص ٢١٢ وما بعدها .
وكذلك محمد عبد الله عنان : تاريخ الأزهر (١٦٥٨) ، ص ٢٠٥ .
وللمزيد من التفاصيل يرجع الى لائحة طلاب الأزهر .

١ - توثيق العلاقات واذابة الفوارق بين الشعوب
الاسلامية •

٢ - توفير أسباب الراحة للطالب الوافد في معيشته حتى
يتفرغ للدراسة •

٣ - مقاومة التمييز العنصرى الذى جعل من البشر سادة
وعبيد •

هذا وللتيسير على الراغبين فى الحضور للأزهر من البلدان
الافريقية المختلفة وللتعرف على الفرص المتاحة لهم زودت
السفارات المصرية والمكاتب الثقافية الملحقة بها فى البلاد الافريقية
المختلفة بمعلومات كافية ودليل يوضح رسالة الأزهر ونظمه
التعليمية المختلفة ومراحله ومناهجه ، والشهادات التى يمنحها ،
والبيانات الكافية عن المعاهد المختلفة وشروط القبول فيها ،
والقوانين التعليمية وبيانات عن المنح التى يقدمها الأزهر لرعايا
البلاد الافريقية • وترحب المكاتب الثقافية بتلقى طلبات الالتحاق
بالأزهر لتقوم بفحصها وارشاد المتقدمين لاستيفاء البيانات
المطلوبة ، وترسل المكاتب الثقافية هذه الطلبات الى ادارة
البعوث الاسلامية لاتخاذ الاجراءات الخاصة بالتحاق الراغبين
فى ذلك •

وعادة يصنف الوافدون الى اربع فئات :

(أ) وافدون على منح وحاصلون على شهادات دراسية معادلة للشهادات المصرية .

(ب) وافدون على منح لكنهم غير حاصلين على شهادات دراسية معادلة للشهادات المصرية .

(ج) وافدون للدراسة على حسابهم أو على حساب حكوماتهم وحاصلون على شهادات دراسية معادلة للشهادات المصرية .

(د) وافدون للدراسة على حسابهم (أو حساب حكوماتهم) وغير حاصلين على شهادات دراسية معادلة للشهادات المصرية .

وتقدم الجهة الدراسية للطالب تقارير سنوية عن سيره في الدراسة وذلك لادارة البعوث الاسلامية (أ) . وهذا يدل على مدى الاهتمام الذي يبذله الأزهر وكلياته ومعاهده لضمان استمرار الوافدين ، وكفالة حياة علمية سليمة لهم .

ولم تقتصر الجهود المبذولة على الطلبة الوافدين فكان لا بد أن يمتد نشاط الأزهر واهتمامه الى الطالبات خاصة بعد أن أنشئت كلية البنات بجامعة الأزهر . ومن احصائيات مراقبة البعثات الاسلامية عن عدد الطلبة والطالبات الوافدين المقيدين

(١) لائحة طلاب الأزهر .

بالأزهر تتضح الزيادة المستمرة لهؤلاء الوافدين من الطلبة والطالبات .

كما أن المبالغ المخصصة للطلبة الوافدين تزداد عاما بعد عام ، وقد بلغ من اهتمام الأزهر بالوافدين اليه أنه وكل الى بعض الأساتذة أمر تعليم اللغة العربية لمن لا يجيدونها من الوافدين ، وتتم هذه الدراسة بقسم الدراسات الخاصة (١٠) .
ومن التيسيرات التي تمنح للطلاب الأفارقة عند حضورهم للأزهر للدراسة به :

١ - المنح الدراسية التي أشرنا اليها والتي زادت لكل طالب مستوف للشروط من ١٠ جنيهات شهريا وأصبحت ٢٠ جنيها .

٢ - التسهيلات المقدمة للطلاب عند حضورهم للدراسة ومنها تحمل الأزهر النفقات لسفر الطلاب ، وصرف بدل استعداد لهم للعام الدراسي بمجرد وصولهم للقاهرة .
تسهيل نقل الطلاب لكتبهم ولأمتعتهم التي يحتاجون اليها بالقاهرة (١١) .

(١٠) يصدر مجمع البحوث الاسلامية احصائيات عن عدد الطلاب الأفارقة من مختلف الدول الافريقية للتحقين (بالدراسات الخاصة) - وعددهم يزداد كل عام .
(١١) للتفاصيل ، يرجع الى ادارة البحوث الاسلامية - بياناته خاصة بالطلبة الوافدين .

ويلتحق الوافدون بعد حضورهم للقاهرة اما بمعهد القاهرة
أو القسم العام بالأزهر ، وقد أخذت اعداد هؤلاء الوافدين
تزداد باستمرار وتعدد الأقطار الأفريقية التي يفدون منها •

ويظهر التأثير الحقيقى للأزهر فى الخارج من تتبع أحوال
ونشاط هؤلاء الوافدين بعد عودتهم الى بلادهم بعد نخرجهم
من الأزهر أو بعد حصولهم على قدر كبير من العلم والمعارف
فيقومون بنشر هذه التعاليم فى بلادهم فى المدارس والمساجد
وفى الجامعات وفى شتى أنحاء مجتمعاتهم المتعددة ، والكل هناك
يكن لهم كل تقدير واحترام ويهتدى بأرائهم ويسير عليها لأنهم
قد اغترفوا من تعاليم الإسلام فى رحاب الأزهر الشريف
وتفقهوا فى الدين وتعلمدوا على ايدي علماء الأزهر الأجلاء •

وهؤلاء الطلاب الوافدون الى الأزهر يكون لهم - كما
ذكرنا - غالباً شأن كبير فى بلادهم حيث يتولون فيها قيادات
سياسية وتعليمية وغيرها من الخدمات الاجتماعية المتعلقة بشئون
بلادهم ، فيتفوقون فيها ويكون لهم تأثير كبير فى بلادهم ، ثم
بلاشك يعتبرون لسان الأزهر المعبر فى تلك البلاد ، وصورته
المشرفة وصوته المدوى بتعاليم الإسلام ، ومنارته المشعة بأهدافه
السامية فى شتى الارحاء (١٢) •

(١٢) محمد محمد شتا زيتون : تأثير الأزهر فى الخارج ، بين الماضى
والحاضر (مجلة الأزهر ، الجزء التاسع ، السنة الخامسة والخمسون ،
يونية ١٩٨٣ ، ص ١٢٠ وما بعدها) •

وقد كان الوافدون للأزهر يتقلدون في مجتمعاتهم بعد عودتهم لبلادهم المناصب الهامة مثل منصب القضاء والافتاء وغيرها - والحقيقة ان سلوك هؤلاء الوافدين في مجتمعاتهم وبين مواطنيهم كان مثار الإعجاب والتقدير .

فقد تدرّب هؤلاء الوافدون في رحاب الأزهر على المساواة وانعدمت فيهم الفروق فأروقتة كانت مفتوحة لجميع الطلاب على السواء ، وحلقاته ترحب بكل الوافدين بعضهم ترسلهم حكوماتهم ، وبعضهم ترسلهم هيئات اسلامية وبعضهم يأتون بأنفسهم وعلى نفقتهم الخاصة .

٢ - مبعوثو الأزهر للدول الافريقية :

لا يقتصر دور الأزهر الحضارى والثقافى فى افريقيا على ما يقوم به الوافدون للأزهر عند عودتهم لبلادهم وعلى صدى ما تعلموه وما تزودوا به من علم وثقافة ومعرفة - فقد اتجه الأزهر - بالاضافة الى استقبائه لأبناء الدول الافريقية - الى ارسال بعض أبنائه من العلماء والمتخرجين فى رحابه سواء على نفقة الأزهر أم على نفقة البلد المبعوث اليها ، وسواء أكانت هذه البلاد عربية اسلامية أم غير اسلامية وفيها أقلية اسلامية حيث يقوم هؤلاء المبعوثون بنشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية وتعليم مبادئ الاسلام ، وقد باشر الأزهر هذد المهمة

منذ أمد طويل من عمره المديد فعن طريق هؤلاء المبعوثين
انتشر الاسلام ومبادئه الي بقاع كثيرة في افريقيا .

وعندما تلقى نظرة على مراحل التعليم المختلفة في البلاد
العربية والافريقية من ابتدائي الى اعدادى وثانوى سنجد كثيرا
من خريجي الأزهر قد قاموا منذ فترة طويلة بالتدريس فيها ،
وما زالوا يضطعون بهذه المهمة حيث يعملون على تثقيف وتعليم
أبناء هذه البلاد (١٣) .

بل اننا اذا ألقينا نظرة على كل الجامعات التي قامت في
العالم العربي والاسلامى وفي الدول الافريقية المستقلة حديثا
سنجد أنها قامت على غرار الأزهر واقتبست من مناهجه ، وقام
الأساتذة من الأزهر أو من المتخرجين فيه بالمشاركة في وضع
المناهج لها وتأليف بعض الكتب التي تدرس فيها ، وما زال
الكثيرون من أبناء الأزهر يقومون بالتدريس في تلك الجامعات
المنتشرة في أنحاء العالم العربي وافريقيا . وفي مطلع كل عام
جامعى يأتى الى الأزهر بعض القائمين على هذه الجامعات
ليستعيروا لجامعاتهم بعض العلماء من الأزهر في شتى التخصصات
حيث يمددهم الأزهر بما يحتاجون اليه وهو سعيد بقرار العين .

(١٣) السيد حسن قرون : الأزهر في القرن الثامن عشر الميلادى (مجلة
الأزهر - الجزء الثامن عشر - السنة الخامسة والخمسون - دى الحجة ١٤٠٣ هـ
سبتمبر ١٩٨١ ص ١٨٢١ وما بعدها) .

وهكذا باشر الأزهر نشاطه الدينى والثقافى منذ أمد طويل عن طريق علمائه ، فانساب الاسلام الى بقاع كبيرة من القارة الافريقية واتخذت الثقافة العربية طريقتها الى الدول الافريقية المختلفة وكانت هذه الدول قد خضعت لسيطرة المستعمرين فترة طويلة ، وحاولت الدول الاستعمارية أن تطمس حضارة هذه الدول وثقافتها وأن تلقى ظللا على ما كانت لها من حضارة زاهرة فى وقت كانت أوروبا نفسها لانزال فى عصور الظلام أو تحاول أن تخرج من هذه العصور . ولعل من يتعمق فى دراسة التاريخ السياسى والحضارى للدول الاسلامية السودانية فى افريقيا الغربية كدولة غانا ، ودولة مالي ، وغينيا ، وكانم ، وبرنو - يلتبس مدى ما كانت عليه الامبراطوريات التى قامت فى هذه البلاد قبل الاستعمار الأوروبى من تحضر وتقدم وازدهار وما أصاب هذه الحضارات نتيجة الاستعمار (١٤) .

وقد اهتمت مصر بالمبعوثين الأزهريين اهتماما كبيرا ادراكا منها لأهمية الرسالة التى يقومون بها - فيسرت لهم السفر الى البلاد الافريقية لأداء رسالتهم فى هذه البلاد . ولما صدر قانون تطوير الأزهر سنة ١٩٦١ ، وتضمنت الدراسة فيه الكليات

(١٤) للدراسة التفصيلية لاطواع هذه الدول الاسلامية يرجع الى :
عبد الرحمن زكى (دكتور) : تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا
الغربية (١٩٦١) .

العملية التي يجسج خريجوها بين الثقافة الدينية والثقافة العلمية المطلوبة في مختلف المجالات - كان الهدف الأساسي هو اعداد هؤلاء الخريجين لسد الفراغ في البلاد الافريقية من النواحي المتعددة *

وتشرف ادارة البحوث الاسلامية التابعة لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر على المبعوثين الأزهرين للبلاد الافريقية *

وكان عدد المبعوثين من الأزهر للبلاد الافريقية في عام ١٩٧٢/٧١ حوالي ١٥٠٠ مبعوث أوفدوا الى البلاد الآتية تلبية لرغبتها : ارتريا ، الجزائر ، السنغال ، السودان ، بورندي ، تنزانيا ، سيراليون ، ليبيا ، مالاغاشي ، موريتانيا ، نيجيريا - وقد تضاعف الأعداد في السنوات التالية (١٥) *

ويتلقى الأزهر كل عام عشرات الطلبات من الأقطار الافريقية ليرسل لها بعثات من علمائه للتعليم في معاهدها ، ويحرص الأزهر على تلبية هذه الرغبات * وهناك قواعد دقيقة لاختيار العناصر الصالحة للقيام بهذه المهمة السامية فيشترط في المبعوث عدة شروط منها (١٦) :

(١٥) للوقوف على اعداد المبعوثين لكل بلد افريقي في السنوات المختلفة يرجع الى : الأزهر : القوم العلمى لمجمع البحوث الاسلامية .
محمود ابو العينين : نبذة في تاريخ الأزهر (مطبعة الأزهر ١٣١٨ هـ - ١٩٤٦ م) ص٩٣ وما بعدها .
(١٦) الأزهر : الامانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية ، شروط الراغبين في الانبعاث .

- ١ - أن يكون قد أمضى في التدريس أو الوعظ على الأقل خمس سنوات •
- ٢ - أن يجتاز بنجاح اختبارا شفهيًا يعقد لهذا الغرض •
- ٣ - أن تكون تقاريره الفنية والسرية جيدة •
- ٤ - ألا يزيد سنه على ٦٠ عاما •
- ٥ - أن يكون قد أمضى على انبعاثه من قبل مدة لا تقل عن ثلاث سنوات •

وعسادة يكون تحديد الهدف من الانبعاث :

- ١ - لتدريس المواد الدراسية للمراحل التعليمية المختلفة •
- ٢ - الوعظ والارشاد •
- ٣ - هناك مبعوثون للدعوة الاسلامية في البلاد غير الاسلامية •
- ٤ - رؤساء بعثات ، وأعضاء المجالس الاسلامية •
- ٥ - فنيون واداريون •

والمبعوثون اما أن يكونوا عن طريق الاعارة أو التعاقد الشخصي • وكما ذكرنا سابقا - فان المبعوثين يكونون اما على نفقة الأزهر أو على نفقة الدولة المعارين لها - اذا كانت الدولة قادرة على دفع مرتباتهم •

٣ - العلماء :

بالإضافة الى المبعوثين العاديين كثيرا ما يرسل الأزهر من علمائه البارزين من يقوم بتعليم أحكام الاسلام وفلسفته لمعتنقيه ، ولتوضيح الكثير من المفاهيم الغامضة - وقد كان لهؤلاء العلماء أثر كبير في البلاد الافريقية التي حلوا بها . هذا وقد قامت في شمال افريقيا وفي غربها - كما سنشير بشيء من التفصيل فيما بعد - حركات اصلاحية دينية بارزة كان على رأسها مصلحون تأثروا بالأزهر وتعاليمه وقد هالهم ما شاهدوه في هذه البلاد الافريقية التي انتشر فيها الاسلام - من أخطاء في تطبيق مبادئ الاسلام ومن بعد عما تعلموه عن دعوة الاسلام ومبادئه .

٤ - دور الأزهر في دعم المراكز الاسلامية الافريقية :

تنتشر المراكز الاسلامية في مختلف الدول الافريقية بشمال القارة وغربها وشرقها - خاصة تلك التي انتشر فيها الاسلام . ومن أهم المراكز : المركز الثقافي العربي في فريتاون بسيراليون ، ومركز الثقافة العربية في أبادان بنيجيريا ، والمركز الاسلامي في دار السلام في تنزانيا ، والمركز الثقافي الاسلامي في ساحل العاج .

وأهم ما تؤديه هذه المراكز الاسلامية هو نشر الدعوة

الاسلامية ، والاهتمام بالثقافة العربية ورعاية المسلمين ، والوقوف على أحوالهم وشؤونهم وافادتهم في متطلبات حياتهم الشخصية كعقود الزواج والفتاوى الشرعية والاستفسارات الدينية ، وحمايتهم من أعداء الدين وثقيفهم دينيا حتى يتسكوا بدينهم ويعملوا لنشر مبادئه •

ولتحقيق هذه الأهداف تقوم هذه المراكز بالنشاطات الآتية :

- ١ - تعليم اللغة العربية لمن يرغب من المسلمين الذين يرغبون في تعلم هذه اللغة باعتبارها لغة القرآن •
- ٢ - شرح مبادئ الدين وتعاليمه وتفسير ما قد يكون غامضا لدى الناس مما يدعو اليه الدين أو ينهى عنه •
- ٣ - تنظيم المحاضرات التي ترتبط بالأحداث التاريخية الهامة التي مرت بالأمة الاسلامية والعربية •
- ٤ -لقاء أحاديث بالمجمعات الاسلامية والمدارس •
- ٥ - اصدار مجلات دورية تربط القراء في هذه البلاد بباقي اخوانهم في العالم الاسلامى •
- ٦ - تقديم خدمات اجتماعية وثقافية ، وتنظيم وسائل تحقيق التكافل والتضامن بين أفراد المجتمع الواحد •

٥ - تزويد المعاهد الإسلامية والجامعات الإفريقية بالكتب والأدوات :

يشعر الأزهر أن من واجبه أن يزود المعاهد الإسلامية بمختلف الدول الإفريقية والجامعات الإفريقية بحاجتها من الكتب الدينية ، والأدوات التي تساعد في أداء رسالتها على أحسن وجه .

ومن أمثلة هذه المعاهد :

بالصومال : معهد الدراسات الإسلامية ، ومعهد برعو الديني ، ومعهد مقديشيو ، ومعهد بلدوش ، ومعهد هرجيسا .

في السودان : معهد أم درمان الديني ، ومدرسة الأحماد بأم درمان ، والمعهد الديني في حلفا ، والمعهد الديني في شجرة غوردون ، والمعهد الديني في الملكال ، ومعهد جوبا .

وفي جيبوتي : معهد اعداد المعلمين .

وفي السنغال : معهد كاوالاك ، ومعهد الحاج محمد المرتضى .

وفي جزر القمر ، مدارس مزني .

وفي تشاد : المركز الاسلامي .

وفي ليبيا : معهد البيضا الديني ، معهد القويسري ،

والجامعة الليبية (جامعة السنوسى سابقا) •

وفي ارتريا : معهد أسمره الدينى •

وفي نيجيريا : معهد العلوم العربية فى لاجوس ، ومدرسة
دار العلوم فى أبادان •

وفي غانا : مدرسة المقاصد الاسلاميه ، ومدرسة جامع
الشريف محمد عبده •

وهناك العديد من الهيئات العلميه الافريقيه الأخرى التى
ترتبط بروابط متعدده بالأزهر والتى يحرص الأزهر على دعمها
علميا وثقافيا وتزويدها بحاجتها من الكتب الدينيه وغيرها •

٦ - عقد المؤتمرات السنويه وحضور المؤتمرات الافريقيه :

حرص الأزهر - خاصة منذ عام ١٩٦٤ - على أن يجمع
المسلمين جميعا فى مختلف الأقطار الافريقيه فى شبه مؤتمر سنوى
يناقش القضايا الهامه التى يمر بها العالم الاسلامى • وقد عقد
فى مارس ١٩٦٤ مؤتمر عام فى رحاب الأزهر نوقشت فيه كثير
من الموضوعات التى تهمة الأمة العربيه والاسلاميه وقد اشترك فيه
عدد غير قليل من مختلف الأقطار الافريقيه (١٧) •

(١٧) عدنان عبد العزيز سليمان (دكتور) : رساله الأزهر الثقافيه
فى بعض دول افريقيا (رساله دكتوراه غير منشوره - جامعة عين شمس - كلية
اللغه العربيه ١٩٧٢) •

بالإضافة الى هذا يحرص الأزهر على أن يكون له تمثيل
ووجود ومشاركة فعلية في المؤتمرات الافريقية التي تعالج
وتناقش قضايا تهم العالم الاسلامى *

ومن يطلع على بيانات ادارة التخطيط والاحصاء والمتابعة
بجامعة الأزهر يدرك مدى ما أسهم به علماء الأزهر من أبحاث ،
واشتراك فى مناقشات فى مختلف المؤتمرات الافريقية * وتحرس
الدول الافريقية وجامعاتها ومختلف الهيئات الثقافية والدينية فيها
على دعوة الأزهر لارسال ممثلين له لحضور المؤتمرات الهامة
التي تعقدها وتيسر ادارة الأزهر مهمة سفر علمائها لهذه
المؤتمرات ، وعادة يقدم ممثل الأزهر بعد عودته تقريرا وافيا
عن المؤتمر الذى اشترك فيه وما قدمه من أبحاث ونشاطات
أخرى لتطمئن الادارة على قيام مبعوثيها بواجبهم على
خير وجه *

٧ - فحص المصاحف والكتب الدينية المتداولة فى الدول الافريقية :

كان طبيعيا أن يتنبه رجال الدين والأزهر - بعد أن انتشر
تداول المصاحف والكتب الدينية فى البلاد الافريقية التى انتشر
فيها الاسلام - الى أهمية التأكد من سلامة المصاحف والكتب
المتداولة وأنها لا تحتوى على أية تحريفات أو شوائب قد يقع

فيها النساخ أو عمال المطابع بقصد أو بغير قصد - ولذا أنشئ قسم خاص بمجمع البحوث الاسلامية لمراجعة المصاحف التي تعد للتوزيع وفحصها فحصا دقيقا بواسطة لجان خاصة . ويشرف هذا القسم على منح تصاريح تصدير المصاحف الموثوق بها والتي تست مراجعتها للدول الافريقية .

وبالاضافة الى ذلك يشرف هذا القسم على فحص الكتب التي تنشر باللغة العربية أو اللغات الأجنبية والتي تحتوى معلومات دينية أو غيرها مما يمس العقيدة والدين الاسلامى . وبناء على هذا الفحص يصدر الأزهر رأى علمائه فى الكتاب المنشور. ومدى تمشيه مع الحقائق الدينية .

**الدول الافريقية التي لعب الأزهري دورا
هاما في نشر الاسلام والثقافة
العربية فيها**

محتويات الفصل :

- انتشار الاسلام والعروبة في افريقيا منذ ظهور الاسلام *
- دور الأزهري في السودان *
- دور الأزهري في شرق افريقيا *
- دور الأزهري في شمال افريقيا *
- دور الأزهري في غرب افريقيا *

اتصل العرب بإفريقيا منذ زمن طويل ، وهاجر عدد غير قليل الى شرق القارة - على وجه الخصوص - واستقروا فيها وكونوا امارات عربية في الأماكن التي استقروا فيها واندمجوا مع سكانها الافارقة وأثروا فيهم وتأثروا بهم . وترتب على هذا الاحتكاك بين العرب والافارقة ان انتشرت اللغة العربية بين السكان في المناطق التي حدث فيها هذا التلاقى . ودخلت بعض الالفاظ العربية في المعاملات وغيرها ، وكانت اللغة السواحلية من ثمار هذا الاحتكاك بين العرب والافارقة كما ظهرت آثار هذا الاتصال في كثير من المظاهر الحضارية الأخرى .

وكما ذكرنا فقد أعطى الاسلام دفعة جديدة لهذه الموجات العربية الخارجة من شبه جزيرة العرب فاندفعت الى القارة الافريقية ننشر دينها ولغتها وحضارتها . على أن انشاء الأزهر أعطى دفعة جديدة للاسلام والمسلمين ، فقد أصبح المنارة التي تضيء الطريق - خاصة أن رجال الأزهر اعتبروا أن رسالتهم

لا تقتصر على المجال المحلى بل يجب أن تتسع لتشمل أكبر مساحة ممكنة من القارة الافريقية ولتصل الى أكبر عدد من سكانها .

وقد اتخذ الاسلام فى افريقيا طرفا عدة . ولاشك فى انه حين بدأ الازهر رسالته كان الاسلام قد وصل الى مناطق عدة من القارة - لكن ضاعف قيام الازهر برسالته ونشاطه من انتشار الاسلام فقد توافد عليه الكثيرون من طلاب العلم والمعرفة ، كما انتشر رجاله وعلماءه فى مختلف أنحاء القارة ينشرون الاسلام والثقافة العربية بين أبناء القارة .

ولعله من المناسب أن تتبع دور الازهر فى بعض هذه الأقطار الافريقية لنعرف الى أى مدى أثر فى هذه الأقطار وفى أبنائها .

اولا - دور الازهر فى السودان (السودان وادى النيل) :

ارتبط تاريخ السودان الحضارى بمصر منذ أقدم العصور ، فلما وصلت المسيحية مصر واعتنقها عدد من سكان البلاد وكانت مصر فى ذلك الوقت ولاية رومانية - تسربت منها الى بلاد النوبة الواقعة جنوب مصر (السودان الشمالى حاليا) . حدث ذلك منذ القرن الأول للميلاد وعلى يد مصريين ممن اعتنقوا هذه الديانة من قبل ونزحوا للجنوب هربا من الاضطهاد الذى كان

موجها اليهم - لاسيما في عهد الامبراطورين تارجيان ،
ودقلديانوس ، وبالتدريج زاد عدد النوبيين الذين اعتنقوا
المسيحية ، وانهى الأمر بأن صارت المسيحية الديانة الرسمية
لمملكة النوبة الشمالية وانتقلت الى النوبة الجنوبية (مملكة
علوة) حتى أصبحت تقريبا ديانة جميع النوبيين (١) .

وقد عاشت المسيحية في السودان نحو تسعة قرون حتى
حل محلها الاسلام .

وبعد فتح العرب لمصر في عام ٦٤١ م بدأت الاتصالات بين
مصر الاسلامية وبلاد النوبة . فقد أرسل عمرو بن العاص جيشا
لبلاد النوبة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح وانتهى
الأمر بعقد (صلح النوبة) بين الطرفين (٢) .

وبعد أن أصبح عبد الله بن سعد بن أبي السرح واليا لمصر
سنة ٣١ هـ تجددت الاشتباكات وغزا عبد الله بن سعد النوبة
وعقد صلحا مع ملكها . وقد أطلق بعض الكتاب كالمقريزي

(١) مصطفى محمد مسعد : الاسلام النوبة في المصور الوسطى ،

س ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) البلاذرى - فتوح البلدان ، ص ٢٣٧ .

وللدراسة التفصيلية لظروف التي انتشر فيها الاسلام والثقافة
العربية في السودان وادى النيل يرجع الى :

شوقي الجمل : تاريخ السودان وادى النيل ، وحضارته وعلاقته بمصر ،

ج ١ ، (١٩٦٩) ، ص ٢٢٩ وما بعدها .

على هذه الاتفاقية لفظ (البقط) ، وقد نظمت هذه الاتفاقية العلاقات السلمية والتبادل التجارى بين القطرين (٣) .

وأخذت القبائل العربية تهجر الى بلاد النوبة مما ادى لانتشار الاسلام فيها ، هذا بالإضافة الى ان التجار العرب كانوا خير دعاة للاسلام فى هذه البلاد . لما أن الأحداث السياسية فى الدولة الاسلامية أدت لهرب بعض المغلوبين على أمرهم الى بلاد النوبة - كما حدث حين انتقلت الخلافة من بنى امية الى بنى العباس .

وحدث حين آلت الأمور فى مصر للفاطميين أن استقر أفراد من قبيلة ربيعة جنوب أسوان وقوى نفوذهم وأصبحت لهم سطوة وكلمة على المناطق من أسوان والمستدة جنوبا لبلاد النوبة التى كان سلطان ملوكها قد ضعف الى درجة أن أصبحوا لا يستطيعون نهية الأمان والطبائنة لأتباعهم .

وقد رأت الدولة الفاطمية أن تعترف بسلطة قبيلة ربيعة ، وأن تقرب اليها زعيم القبيلة أبو مروان بشر بن اسحق .

وهكذا قامت فى هذه الجهات - فى هذه الفترة التى

(٣) انظر المقرئى : المواظ والاعتبار فى ذكر الخطط الاسار ، ج ١ ، ص ٢٢٢ . وللشرح المستفيض لبنود هذه الاتفاقية يرجع الى : شوفى الجمل : المرجع السابق ، ص ٢٣ وما بعدها .

تحدث عنها والتي بنيت فيها القاهرة والأزهر - امارة عربية اسلامية سيكون لها دور فعال في نشر الاسلام والثقافة العربية في بلاد النوبة وبين سكانها .

وتشير المراجع الى أن القائد جوهر الصقلي عقب فتحه لمصر أرسل رسوله عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني برسالة الى ملك النوبة - كان مما جاء فيها دعوته لاعتناق الاسلام .

وتذكر المراجع التاريخية حادثة كان لها أيضا أثرها في هذا العهد في استقرار إحدى القبائل العربية القوية في جنوب مصر وشمال النوبة . ففي عهد خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي حدث أن هرب أحد الخارجين على الخليفة وهو أبو ركوه ، وهو من سلالة بني أمية ، وفر من مصر الى الجنوب فاستعان الخليفة بزعيم قبيلة ربيعة المدعو أبو المكارم هبة الله ، واستطاع هذا الزعيم أن يقبض على أبي ركوه - فكافأه الخليفة الفاطمي بمنحه لقب (كنز الدولة) ، وتوارث أبنائه اللقب وتسموا بالكنوز وانتشروا في المنطقة الممتدة من أسوان الى كورسكو ، وقد اشار ابن الأثير في كتابه الكامل الى هذه الحادثة سنة ٣٩٧هـ (١٠٠٧ م) كما أشار اليها المقرئ في خطه (٤) .

(٤) المقرئ : الخطط ، ص ١٩٩ .

وقد أصبح لهذه القبيلة ومازال دور كبير وتأثير في سكان السودان الحالي •

وأشير الى أن الفاطسيين أكثروا من استجلاب السودانيين وجندوهم في صفوف الجيش الفاطمي خاصة في عهد الخليفة المستنصر ، وقد كانت أمه سودانية • ويروى أنهم بلغوا في عهده الخمسين ألفا ، وأصبحوا قوة كبرى في مصر حتى أن صلاح الدين الأيوبي فيما بعد اضطر لمحاربتهم ليقيم دولة الأيوبيين •

وقد ترتب على هجرة العرب واستقرارهم بالسودان بل وهجرة بعض النوبيين الى مصر - أن دخلت أعداد كبيرة من النوبيين في الاسلام فتعربوا لغة وثقافة ودينا - حدث ذلك دون ضجة أو اضطراب (٥) •

وقد ترتب على المصاهرة بين العرب وبين النوبيين ظهور مجموعات نوبية مستعربة من أهمها الكنوز ، والكوت ، والمحس ، والدناقلة • وظل الكنوز حتى أوائل القرن السادس عشر ، يمثلون أقوى هذه العناصر (٦) •

واتهى الأمر بقيام سلطنات أو دول عربية إسلامية في

Trimingham, S. : Islam in the Sudan P. 617.

(٥)

(٦) مصطفى مسعد : مرجع سابق ، ص ١٨٢ •

السودان منها سلطنة سنار أو سلطنة الفونج نسبة الى الأسرة
السودانية الحاكمة بها ، ثم سلطنة الفور في دارفور ، ومملكة
تقلى في كردفان ، وقد ظلت كلها قائمة حتى بدأ محمد على
يد سلطانه الى مصر فالسودان (٧) .

وهذا التطور الذى حدث فى الفترة الواقعة بين فترتين -
الفترة التى كانت متصلة حضاريا وثقافيا وسياسيا فى بعض
الأحيان بتاريخ مصر القديم - وبين الفترة الحديثة من تاريخ
السودان والمرتبطة أيضا بتاريخ مصر الحديث - تطور هام
وسريع بالنسبة لانتشار الاسلام والثقافة العربية بل والدماء
العربية فى السودان .

على أنه منذ القرن الرابع عشر بدأ بعض العلماء المسلمين
الذين درسوا فى الأزهر يفتدون من مصر الى السودان
ويستقرون فيه ويعمرون المساجد ويعلمون أهله مختلف علوم
اللغة العربية والدين .

وقد كان أثر مصر فى السودان علميا أكثر منه صوفيا
خالصا - فكان من يذهب من السودان الى الأزهر الشريف

(٧) لزبد من التفاصيل عن السلطنات الاسلامية بالسودان يرجع الى :
شوقى الجمل : مرجع سابق ، ص ٣٠٠ وما بعدها .

يعود بحصيلة ممتازة من علوم الفقه والتوحيد واللغة - وكان من يهاجر من مصر للسودان فقيها يصير فقيها متصوفا (٨) *

الرواد السودانيون من متخرجى الأزهر :

يصعب أن نعطي بيانا كاملا بالرواد الأوائل من السودانيين من متخرجى الأزهر لكن يكفى ان نذكر بعضهم لالقاء الضوء على جهودهم فى نشر الثقافة الاسلامية والعربية فى وطنهم * فمنهم الشيخ محمود أحمد العركى الذى قيل انه أنشأ خمس عشرة مدرسة على النيل الأبيض فى منطقة الكوه جنوب الخرطوم وقد درس فى هذه المدارس عدد كبير من المواطنين السودانين *

ويذكر ود ضيف الله فى كتابه الطبقات - انه لما نشأت دولة الفونج الاسلامية فى سنار كان العرب الذين أسسوا هذه الدولة قد نسوا الكثير من تعاليم دينهم فكان اسلامهم اسما - ووصلت الفوضى والجهل بالدين الى أن الرجل كان يطلق امرأته ويتزوجها غيره فى نهارها بدون عدة ، وظل الحال كذلك حتى قدم من مصر الشيخ محمد العركى، فنشر تعاليم الاسلام بين الناس، وعلم الناس الهدى *

ومنهم أولاد جابر الأربعة وهم من أسرة غلام الله بن عابد اليمنى الذى وفد للسودان من اليمن فى أواخر القرن الخامس

(٨) عبد القادر محمود : الفكر الصوفى فى السودان ، ص ٥٨ *

عشر الميلادى وقد ولدوا بالسودان ثم سافروا الى مصر حيث درسوا فى الأزهر على الشيخ محمد البنوقرى وغيره من أعلام المالكية فى مصر ، فدرسوا أصول الفقه المالكى واللغة والنحو وعادوا لبلادهم حيث أخذوا ينشرون العلم هناك •

وقد أسسوا عددا كبيرا من المدارس والمراكز لتعليم القرآن والفقه خاصة فى المنطقة الممتدة من دنقله شمالا الى أريجى فى الجنوب • ومن أهم هذه المراكز مدينة دنقله ، والداير مركز الجعليين وكعبتهم الثقافية ، وكورتى ، وبربر • وقد كان سكان الحلة التى بها المسجد أو الخلوة يستضيفون الطلبة الغرباء فى بيوتهم ليقوموا فيها طاعمين كاسين ويقوموا معهم كما يشاءون •

وقد لاحظ بوركهاوت ذلك وأشار اليه (٩) •

ونشير الى أن هذه الأقاليم تأصلت فيها التقاليد العربية وثبتت تعاليم الاسلام بفضل هؤلاء العلماء - لكن لا بد أن بعض التقاليد السابقة ظلت سائدة لفترة من الزمن • ويرجع الفضل الى هؤلاء العرب الذين استقر بهم المقام فى السودان فى تكوين وتأسيس السلطنات والمشيخات العربية السودانية التى ازدهرت فى السودان قبل امتداد التنظيمات التى بدأت فى عهد محمد على •

(٩) حسن احمد محمود (دكتور) : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا

ومن الذين بشروا وعمروا المساجد في هذه الجهات أولاد
 عون الله السبعة وعدد من الشيوخ مثل الشيخ البنداري والشيخ
 حمد ولد رزوق ، والشيخ ادريس الأرباب ، والشيخ ابراهيم بن
 عبودي القرضي وقد سمي كذلك لطول باعه في علم الفرائض ،
 كذلك الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم بن أبي ملاح الكتاني ،
 وهناك كثيرون غيرهم . ولقد أصبح أولئك الرواد الذين درسوا في
 الأزهر نواة المجتمع السوداني ودعامته فأقبل عليهم الطلبة من
 كل فجح يتلقون العلم عليهم ، وتوالت - كما رأينا - بيوت دينية
 بعينها تؤسس المدارس وتحرس على إيواء الطلاب ونشر العلم
 في البلاد فاشتهرت مدارس الشايقية في دنقله ، والنبيش في بربر ،
 والمجاذيب في الدامر ، وقوز العلم في شندي وتوتى ، والعليفون
 وكرايخ وأبي حراز (٨٠) .

علي أن العلماء السودانيين الذين تخرجوا في الأزهر له
 يكونوا هم وحدهم حملة رسالة الأزهر في السودان في ذلك
 العهد - فقد وفد على السودان ثمر من علماء الأزهر المصريين
 الذين أسهموا أيضا في نشر العلم في ربوع السودان . نذكر
 من هؤلاء الشيخ محمد المصري القناوى وهو في الأصل من
 ادفو ، وقد وفد على السودان وتلمذ على يديه عدد غير قليل
 من السودانيين .

(١٠) محمد سلمان : دور الأزهر في السودان ، ص ٣٠ وما بعدها .

كذلك الشيخ محمد بن علي بن قرم الكيماني ، وقد جاء من مصر الى بربر واستقر بها وتلمذ عليه كثيرون . وأشير الى أن بعض العلماء السودانين عنوا بتأليف الكتب الدينية واللغوية ، وكانت لبعض علماء السودان خزانات كتب كانوا يحرصون على تزويدها بالمصادر والمراجع الهامة التي كان أغلبها يرد من مصر - وقد ترك أحد فقهاء السودان بعد وفاته دراسة عن سير مائتين وسبعين من علماء السودان (١١) .

وعرف عن ملوك سنار وسلاطينها أنهم يعظمون العلماء ويجلونهم وينزلونهم مكانة كبرى في نفوسهم - وأنهم كانوا يرسلون الى مصر الوفود محملة بالمال والذهب لشراء الكتب النادرة ، وكان بعضهم يرسل علماء الأزهر ويرسل لهم الهدايا ويطلب منهم المشورة والرأى في بعض ما يعنى لهم (١٢) .

وقد تبوأ عدد من خريجي الأزهر السودانين المناصب القضائية في السودان فكان لهم الفضل في الفصل بين الناس في الخصومات التي تنشأ بينهم حسب رأى الدين والشرع ، وحين كان القضاة السودانيون يختلفون في الرأى فيما يتعلق بقضية ما كثيرا ما كانوا يحتكمون الى علماء مصر (١٣) .

(١١) لم يربرد تفصيلا من هذه المؤلفات يرجع الى :

يوسف فضل : دراسات في تاريخ السودان ، ج ١ ، ص ١١١ - ١١٨ .

(١٢) أحمد بن الحاج كاتب الشونة (محقق الشاطر بوصيلي) .

(١٣) ود ضيف الله : الطبقات ، ص ١١٤ .

وعندما تأسست سلطنة دارفور في اقليمى دارفور وكردفان في القرن السابع عشر حرص سلاطينها على دعوة علماء الأزهر للحضور للسودان والاقامة به ، كما شجعوا مواطنيهم على السفر الى مصر طلبا للعلم في الأزهر حيث أقاموا في رواق دارفور ، حيث زخر هذا الرواق بعدد الوافدين اليه من سلطنة دارفور ، وقد ساهم المتعلمون في الأزهر من الدارفوريين في الوعظ والارشاد والتعليم في المساجد ومكاتب العلم التي ألفت بها ، والتي انتشرت في أنحاء السلطنة والتي اشتهرت منها خلاوى طرفة ، وشويا ، والطينة ، كما اشتهرت جوامع الفاشر ، وكوبى ، وجديد السبل (١٤) .

وقد أجزل سلاطين دارفور العطاء للعلماء وأقطعوهم الأرض يعيشون عليها ويصرفون ريعهاهم وتلاميذهم .

وقد تبارى سلاطين دارفور وسلاطين سنار في تشجيع علماء الأزهر سواء المصريين أم السودانين للحضور والاقامة وتوجيه الناس وارشادهم وتعليبهم . ومن أشهر سلاطين دارفور في هذا المجال السلطان عبد الرحمن الرشيد الذى حكم من عام ١٢٠١ هـ الى عام ١٢١٥ هـ (١٧٨٧ - ١٨٠١ م) ،

(١٤) محمد سليمان : مرجع سابق ، ص ٤٤ .

وقد حرص هؤلاء الحكام على أن يعهدوا بتربية أبنائهم لعلاء
أزهريين .

ولما امتدت الادارة المصرية الى السودان في عهد
محمد علي حرص هو وخلفاؤه على نشر التعليم الديني بين
أفراد الشعب السوداني فاختير عدد من أبناء الجهات التي
امتد اليها النفوذ المصري وأرسلوا الى الأزهر الشريف والى
المدارس المصرية لتلقى العلم ، ثم بعد ذلك بدأت محاولة فتح
المدارس في الخرطوم وغيرها من مدن السودان ، وقد أسهم
خريجوا الأزهر بنصيب وافر في التعليم في هذه المدارس (١٥) .

وقد أصبح بالأزهر ثلاثة أروقة للسودانيين رواق سنار ،
ورواق دارفور ، ورواق البرابرة الخاص بالطلاب النوبيين .
وقد تغير اسمه الى رواق شمال السودان بناء على رغبة أباها
السيد عبد الرحمن المهدي للشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر
عند زيارته له في الأزهر .

وقد برزت فترة حكمدارية جعفر مظهر باشا
(١٨٦٦ - ١٨٧١) بسبب اهتمامه بتعليم وتثقيف السودانيين
فأرسل بعض الطلاب السودانيين لمصر للانتساب للأزهر لفترة

(١٥) عبد العزيز عبد المجيد (دكتور) : التربية في السودان والامس
النفسية التي قامت عليها ، ح ٢ ، ص ١٦ وما بعدها .
وحسن احمد محمود (دكتور) : مرجع سابق .

ثلاث سنوات يعودون بعدها للسودان ، وقيل انه عند مغادرته
للسودان متوجها لمصر اصطحب معه بعض الطلبة السودانيين من
كسلا ليواصلوا تعليمهم في الأزهر وأنه قام بتقديمهم بنفسه
للشيخ مصطفى العروسي شيخ الأزهر وأوصاه بهم خيرا (١١) •
وحين امتد نفوذ الادارة المصرية في عهد الخديو اسماعيل الى
جهات جديدة في شرق السودان وغربه والى مديرية خط
الاستواء - اتبع نفس الاسلوب مع أبناء هذه البلاد فاختر
منهم عدد أرسلوا لمصر للالتحاق بالأزهر (١٢) •

على أننا نشير الى أن امتداد الادارة المصرية لمديره خط
الاستواء فتح المجال أكثر أمام الهجرات العربية الى الجنوب
وساعد هذا بدوره على انتشار اللغة العربية والثقافة العربية بين
أبناء الجنوب - وان كان يؤخذ على الادارة المصرية أنها لم تركز
على هذه الناحية بالذات - أقصد بها - الاهتمام بتكثيف
الجهود لنشر الثقافة العربية على نطاق أوسع في جنوب السودان.
وقد ظهرت نتائج هذا الوضع أكثر في عهد الادارة الثنائية
حين وضعت الادارة الانجليزية سياسة يقصد بها فصل جنوب
السودان عن شماله وتعويق الجهود المبذولة لنشر الحضارة
والثقافة العربية والدين الاسلامي في الجنوب •

(١٦) عبد العزيز عبد المجيد : مرجع سابق ، ج ٢ ص ٦١ •

(١٧) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٧٧ •

ونشير الى أن الادارة المصرية لما امتدت الى جنوب السودان كلفت عدة بعثات بمد نفوذ مصر لمنطقة البحيرات الاستوائية ، وقد ترتب على ذلك ان طلب أمتيسة ملك أوغندا ارسال من يرشده الى تعاليم الاسلام ، وقد بادرت مصر الى ارسال اثنين من علماء الأزهر - وقد جاء في رد الحكومة المصرية على هذا الطلب من الملك الأوغندي :

« انه بما أن هذه البلاد بعيدة ومتسعة ، ونشر الدين القويم فيها مبتدئ فقد تعين اثنان من الفقهاء من ذوى العقل والمعرفة والارادة فى تأليف قلوب الأهالى وتعليمهم بغاية اللطف قواعد الديانة وتفهمهم محسناتها » (١٨) •

وقد ترتب على امتداد الادارة المصرية لمنطقه البحيرات الاستوائية أن انتشرت الحضارة والثقافة العربية والدين الاسلامى بهذه الجهات ، وقد أشار عدد من الكتاب والرحالة الأجانب الى ذلك ، فقد أشار الدكتور يونكر فى كتابه رحلة افريقيا الى فضل الادارة المصرية فى نشر الحضارة فى هذه الجهات فقال :

« يرجع الفضل الى المسلمين - وهم الذين توجه اليهم

(١٨) دفتر ١٨ عابدين - صادر للفرانك العربى شفرة ص ٢ ، فى

(٢١ ربيع الاول ١٢٩١) •

المطاعن والمثالب في الزام الزوج بضرورة المعيشة في هدوء
وسلام مع القبائل المجاورة لهم والاقامة على قدر الامكان في
دورهم وصرفهم الى زراعه حقولهم ، وهذا العبل ينبغي ان تقدره
حق قدره بدون ان نبخسه شيئا ، وما يشرف الحكومة المصرية
وضع المناطق التي يسكنها الزوج تحت سيطرتها • وهذا الأمر
مكنها من ان تفتح بابا لانتشار المدنية فيها في مستقبل الأيام •
وقد شهد نفس هذه الشهادة المبشر فليكن في كتابه
! أوغندا والسودان المصري (١٦) •

فلاشك في أن مصر مهدت الطريق لانتشار المدنية
والحضارة في هذه الجهات وداست الأشواك ، وكان دور رجال
الأزهر ومبعوثيه في هذا المجال دورا بطوليا •

وظل دور الأزهر بارزا في الحياة المدنية والثقافية في
السودان حتى بعد أن قامت الثورة المهدية • فرغم أنه لم يكن
بين مصر والسودان اتصال رسمي طوال الثلاثة عشر عاما من
حكم المهدية فقد انضم الى الثورة المهدية فقهاء وعلماء
سودانيون من متخرجي الأزهر وشغلوا مناصب هامة خاصة

Felkin : Uganda und The Egyptian Sudan V.I. P. 324 (١٦)

ملاحظة : لويد من التفاصيل عن حياة متخرجي الأزهر السودانيين في
مهد المهدية يرجع الى :
محمد سليمان : مرجع سابق ص ٨٢ وما بعدها .

في القضاء الشرعي ، نذكر منهم القاضي أحمد جبارة وهو من متخرجي الأزهر ، والشيخ الحسين ابراهيم الزهراء ، والشيخ محمد البدوي ، والشيخ الصوفي عبد الرحمن ، والشيخ محمد عمر البنا ، والشيخ اسماعيل عبد القادر الكردفاني .

وقد برز دور الامام محمد عبده في أثناء السيطرة البريطانية على شئون السودان في ظل الحكم الثنائي خاصة بعد أن أصبح الامام مفتيا لمصر فاختار لمناصب القضاء الشرعي والمناصب الدينية عددا ممن تتلذذوا على يديه وعلى يد أستاذه جمال الدين الأفغاني ، ومن شغلوا منصب القضاء في السودان في هذه الفترة الشيخ محمد شاكر (٢٠) ، والشيخ مصطفى المراغي (٢١) . وقد لفت الدور الذي يقوم به علماء الأزهر في التدريس وفي شئون القضاء في السودان نظر بعض الاستعماريين البريطانيين خاصة بعد أن عهد لهؤلاء الأزهريين بتدريس الشريعة والقرآن الكريم والأدب في كلية غوردون ذاتها فبرزت مكاتبتهم بين السودانيين من طلاب هذه الكلية التي قصدت بريطانيا من انشائها تخليد ذكرى غوردون وفي نفس الوقت تسهم في تخريج جيل من السودانيين يدين بالولاء لبريطانيا (٢٢) .

(٢٠) شغل الشيخ محمد شاكر منصب وديان الأزهر بعد عودته لمصر ، وكان له دور بارز في تطوير الدراسة به .

(٢١) كان للشيخ مصطفى المراغي دور كبير في تطوير المعهد العلمي في أم درمان .

(٢٢) محمد عمر بشر : تطور التعليم في السودان من ١٩٢٠ .

وقد زار الامام محمد عبده السودان قبل وفاته بقليل
بدعوه من تلاميذه ومريديه من العلماء وقد فوئل الامام في
السودان بحفاوه بالغه النظر - مما جعل الادارة البريطانية
تنظر بعين القلق والفرع من نشاط الازهريين في السودان
ويأيرهم على الجماهير .

وقد اتجهت انجلترا الى اضعاف الصلات الدينية والتعافية
بين مصر والسودان بان توجد في السودان هيئات تغنى عن هيته
لبار العلماء في مصر وعن الأزهر .

وللوصول لهذا الهدف عين الجنرال ونجت الحاكم العام
البريطاني في ١٣ يونيه عام ١٩٠١ لجنة أطلق عليها اسم (لجنة
العلماء السودانيين) تكون بمثابة لجنة استشارية في الشؤون
الدينية (٢٢) .

وكان عمل لجنة العلماء السودانيين أن ترسل بعوتا سودانية
الى الأزهر ليتزود أفرادها بالعلم والمعرفة وليعودوا الى بلادهم
لتولى مهنة التدريس فيها . غير أن ونجت كان يرى أن ذهاب
السودانيين الى الأزهر وتلقيهم الدراسة هناك قد يجعلهم

(٢٢) شكلت اللجنة لأول مرة من الشيخ محمد البدوي رئيسا ، والشيخ
التذير خالد ، والشيخ محمد عبد الماجد ، والشيخ ابراهيم تريف الدولابي ،
والشيخ محمد الامين الضير ، والشيخ الباقر اسماعيل اعضاء .
(أمر صدر من سزدار وحاكم السودان العام السير ونجت في
١٣ يونيه ١٩٠١ م - ٢٦ صفر ١٣١٩ هـ) .

يشربون اراء واقتارا معادية للإدارة البريطانية في السودان .
لما انه كان يرى ان مجيء علماء مصريين من الأزهر للتدريس
في السودان اثار خطرا ، ولذا رأى ان ينشئ في جامع ام درمان
الكبير ما اطلق عليه اسم (المعهد العلى) لتخريج طلبة من
المعلمين والمثقفين لسد الفراغ ، ووضع للمعهد لائحة للدراسة
اتمنت من لائحة الأزهر الشريف ومناهج التدريس فيه ، وقد
تم انشاء المعهد في عام ١٩١٢ وتخرجت فيه افواج من العلماء
ونظورت الدراسة به خاصة بعد ان طالب مؤتمر الخريجين
العام في السودان بعد تأسيسه بذلك ، بل انه طالب بضرورة
الاتصال بين معهد ام درمان والأزهر الشريف ، واضطرت الإدارة
البريطانية أمام ضغط الراى العام السودانى الى أن تستجيب
لهذه الرغبة فسمحت في عام ١٩٤٧ لبعثة من الأزهر للحضور
للسودان والتدريس في معهد ام درمان ، وانتدبت أحد مشايخه
الأزهريين لإدارة المعهد . هذا وقد ساهم الأزهر كما ساهم
عدد كبير من العلماء المصريين في انشاء مكتبة علمية ضخمة
للمعهد .

هذا وقد تطور القسم العالى بمعهد ام درمان فتحول
الى كليات متخصصة في شتى فروع الثقافة الاسلامية . وفي
عام ١٩٥٧ انشئ قسمان بالمعهد أحدهما للشريعة الاسلامية
والآخر للغة العربية ، وقد طورت الدراسة بمعهد ام درمان
وأصبح جامعة اسلامية وسدر القانون الأساسى للجامعة في

عام ١٩٧٠ أصبحت جامعة أم درمان تزارع كبرى الجامعات
الاسلامية الأخرى .

ولم تقتصر رسالة المعهد على السودان فقد أصبح يتردد
عليه عدد من طلاب العلم والثقافة من البلاد الافريقية الأخرى
كالصومال واثيوبيا وارتريا وأوغندا بل ومن السنغال وغيره من
أقطار غرب افريقيا (٢٤) .

ثانيا - دور الأزهر في شرق افريقيا :

علاقة العرب بشرق افريقيا - كما رأينا سابقا - قديمة
والتأثيرات العربية في شرق القارة قوية وواضحة ، ونستطيع أن
نحسها في مختلف مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية
والثقافية - لكن الاسلام أعطى العرب دفعة جديدة وأهدافا
وأسبابا للاندفاع لشرق القارة والتعامل مع سكان هذه المناطق
والاندماج فيهم ، وكان طبيعيا أن يلعب الأزهر الشريف دورا
هاما ورئيسيا في هذا المجال خاصة بعد أن أصبح له دور ديني
وثقافي واضح في كل المجتمعات الاسلامية التي احتك بها
المسلمون ، ولعل محاولة تلمس هذا الدور في كل من اثيوبيا
وارتريا والصومال يعطى صورة عن ذلك .

ففيما يتعلق باثيوبيا وارتريا فقد كانت - كما ذكرنا

سابقا - أول منطقة هاجر اليها المسلمون وكان لهؤلاء المهاجرين
أثرهم على الاثيوبيين ، ولاشك في أن هذه الهجرات الأولى
لاثيوبيا زادت من الصلات بين المسلمين من عرب شبه الجزيرة
وبين الاثيوبيين ، وقد ترتب على هذه الصلات أن دخلت قبائل
برمتها مثل قبائل الجالا في الاسلام (٢٥) .

ولاشك في أن مصر لعبت دورا هاما في نشر الاسلام في
الحبشة كما لعبت من قبل دورا في نشر المسيحية فيها ، ومن تتبع
كتب التاريخ والرحلات نعلم أن بعض العلماء المصريين من رجال
الأزهر - كانوا يترددون على اثيوبيا وارتريا لتعليم أبنائها ،
كما كان بعض الارترين والاثيوبيين يفتدون لمصر لنفس
الغرض (٢٦) .

وتوجد باثيوبيا بعض المعاهد الأهلية الاسلامية في أسمره
ومصوع ، وكرن ، وأغودات ، وهرر .
وتشرف الجمعيات الخيرية الاسلامية على هذه المعاهد
وتزودها بحاجاتها من الكتب والأدوات المدرسية ، ومناهجها
قريبة من مناهج المعاهد الأزهرية المصرية بحكم أن واضعي هذه
المناهج ممن تخرجوا في الأزهر الشريف (٢٧) .

(٢٥) اولد ، توماس : الديرة الى الاسلام ا نرجمة د. حسن
ابراهيم حسن (١٩٤٧) ص ١٠٤ .
(٢٦) يوسف أحمد : الاسلام في الحبشة (١٩٣٥) ص ٦٩ .
(٢٧) الأزهر في ١٢ عاما - مرجع سابق ص ٢١ .

ومن أهم المعاهد المرتبطة بالأزهر معهد أسرة الدينى الذى أنشئ فى عام ١٩٤٢ ، وتمتد مصر طلاب المعهد بالكتب الدراسية كما تتحمل مرتبات مدرسى العلوم الشرعية والعربية به ، ويقوم بالتدريس فيه وطنيون من متخرجى الأزهر •

وبالأزهر رواق خاص بالوافدين من اثيوبيا والمناطق المجاورة (رواق الجبرت) ، ويحدثنا المؤرخ المشهور عبد الرحمن الجبرتي عن هذا الرواق والوافدين اليه (٢٨) •

ويقدم الأزهر بعض المنح للطلاب الاثيوبيين والارتريين للدراسة بمعهد البحوث الاسلامية وبجامعة الأزهر •

الثالث - دور الأزهر فى الصومال :

هو دور بارز ، فقد انتشر الاسلام على نطاق واسع خاصة فى المدن الساحلية بالصومال ، ووجدت بهذه المدن عدة مدارس ومراكز اسلامية ، فعادة حيث توجد جماعات اسلامية يوجد من يقوم بشئون أطفالها فيعلمهم القرآن كما يؤم الناس فى الصلاة ويعرف الناس بشعائر الاسلام (٢٩) •

وفى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر سيطرت

(٢٨) الجبرتي ، عبد الرحمن : عجائب الانار فى التراجم والأخبار

ج ١ (١١٨٨ هـ) ص ٢٨٥ .
Trmingham, S. - Islam in Ethiopia P. 142.

(٢٩)

مصر على شواطئ الصومال الشمالي والشرقي ، وفي عام ١٨٧٥
ضمت هرر الى أملاكها وأتاح ذلك فرصة لتدعيم الاسلام
بل ونشره بين القبائل الوثنية ، وتردد المراجع أسماء عدد من
رجال الأزهر وخرجيه الذين جاءوا الى هذه البلاد في ظل
ما هيأته الادارة المصرية من أمن وأمان وكان دورهم واضحا
وأثرهم بارزا في حياة السكان وسلوكهم •

وفي عام ١٨٨٤ أجبرت بريطانيا مصر عقب الثورة العرابية
على اخلاء هذه الجهات فضمت الصومال الشمالي اليها
(فيما عرف بالصومال البريطاني) ، وقد قاومت قبائل الصومال
الاحتلال البريطاني بشمال الصومال كما قاومت الاحتلال
الايطالي لجنوبه ، واضطرت الدولتان الاستعمارتان لتوجيه
الحملة لقمع هذه الحركات الوطنية ونجحت في ذلك بعد جهد ،
وان كان تفوذها لم يتعد في كثير من الأحيان المناطق الساحلية ،
ولاشك في أن المستعمرين سواء الانجليز أم الايطاليين كانوا
يخشون بالذات من ارتباط الحركة الوطنية القومية بالحركة
الاسلامية الدينية ، فقد اتخذت الحركة الوطنية صورة الجهاد
ضد المستعمر الأوربي المناهض للدين الاسلامي •

وقد ضعفت الصلات بين الأزهر والصومال أثناء الاحتلال
الايطالي ، فقد كان الايطاليون يخشون من أثر هذه الصلات
في اذكاء الروح القومية بين الوطنيين ، وكان الايطاليون يشجعون

تعلم الوطنيين اللغة الايطالية - لكن تمكن بعض الصوماليين من افتتاح مدرسة يتعلم فيها الصوماليون اللغة العربية والدين ، وكان يشرف عليها أحد الصوماليين من درسوا بالأزهر (٣٠) . وفي الفترة التي أعقبت الحرب العظمى الثانية طلب الصوماليون من مصر المساعدة في انشاء مركز ثقافي عربي ومسجد وعيادة طبية ومدرستين ثانويتين احدهما للبنين والأخرى للبنات . وقد وافقت الادارة الايطالية في عام ١٩٥٢ على ذلك ، كما منحت مصر عددا غير قليل من طلبة الصومال منحا للدراسة في الجامعة الأزهرية والجامعات المصرية . وقد نجحت بعض الجماعات الوطنية في الصومال في انشاء مدارس أهلية في مقديشيو وغيرها من المدن الهامة بالصومال تهتم بنشر اللغسة العربية ويدرس بها صوماليون من تعلموا في المدارس المصرية وفي الأزهر الشريف .

وبعد حصول الصومال على استقلاله في عام ١٩٦٠ بدأ تنفيذ سياسة تعليمية وطنية كما بدأ منذ عام ١٩٦٩ في انشاء

٣٠١ تم الصومال الايطالي بعد هزيمة ايطاليا في الحرب العالمية الثانية تحت الادارة البريطانية حتى عام ١٩٤٩ وقررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الرابعة في عام ١٩٤٩ ان يصح الصومال دولة مستقلة ذات سيادة على ان يتم تنفيذ الاستقلال في نهاية عشر سنوات يوضع الصومال خلالها تحت الوصاية الدولية ، وعهد بها لايطاليا يساعدها مجلس استشاري من ممثلي كولومبيا ومصر والفلين واخيرا وافقت هيئة الأمم المتحدة في نوفمبر عام ١٩٦٠ على استقلال الصومالين البريطانيين والايطالي واتحادهما باسم جمهورية صوماليا .

جامعة مقديشيو واستعان في ذلك بالدول الصديقة وفي مقدمتها
منسرين .

وقد توافد الطلاب الصوماليون على مصر للدراسة
بالأزهر ، وكان لهم رواق خاص (رواق زيلع) ، وقد نجحت
البعثة التعليمية الأزهرية للصومال في افتتاح معهد الدراسات
الاسلامية بمقديشيو في عام ١٩٥٣ . وفي عام ١٩٥٦ تم افتتاح
معهد ديني في مقديشيو عام ١٩٥٩ التحق به عدد كبير من الشبان
الصوماليين كما افتتح معهد آخر في مدينة (برعو) في عام ١٩٦٠ ،
وتوالى بعد ذلك تأسيس المعاهد الدينية . وقد شجعت الحكومة
الوطنية في الصومال بعد الاستقلال التوسع في افتتاح المعاهد
والمدارس الدينية والمدارس العامة ، كما شجعت الاهتمام
بالثقافة العربية والاسلامية التي يقوم بنشرها نخبة ممتازة من
علماء الأزهر الشريف (٣١) .

ويهتم الأزهر بتزويد المعاهد الدينية في الصومال - (معهد
مقديشيو) ، معهد برعو ، ومعهد بربرة ، ومعهد هرجيسيا ،
والمدارس الدينية والمدارس العامة ، ومعهد قسمايو ، ومعهد
بيدوا ، ومعهد بلدوين ، ومعهد جلكعيو) - بحاجتها من الكتب
والأدوات .

(٣١) حمدى السيد سالم : الصومال قديما وحديثا ج ٢ (مقديشيو
١٩٦٢) ص ٤٩٠ .

هذا بالإضافة الى المعاهد الدينية التي انتشرت في قرى
الصومال وفي المناطق الريفية ، كذلك المدارس القرآنية • وترتب
البعثة الأزهرية بالصومال أمر القائمين بالتدريس في هذه المدارس
التي تشبه (الكتاتيب) في مصر •

والحقيقة أن نشاط البعثة الأزهرية في الصومال بعد
الاستقلال شمل عدة مجالات بالإضافة الى مجال التعليم في
المعاهد والمدارس المختلفة فقد اهتم أعضاء البعثة باللقاء
المحاضرات الأدبية والدينية في المركز الثقافي الاسلامى والأندية
العلمية والمساجد ، كما اهتموا بالمشاركة في مختلف المناسبات
الدينية والوطنية ، كما أصدر أعضاء البعثة مجلة شهرية حافلة
بالمقالات والتحليلات القيمة ، كما كان رجال البعثة المرجع في
شرح الغامض في المواقف المختلفة •

هكذا لعب الأزهر ورجاله دورا فعلا وقويا ومؤثرا في نشر
الاسلام والثقافة العربية في شرق افريقيا ، ومن شرق القارة
تغلغت هذه الأثار الى الداخل وظهرت أثارها في وسط القارة •

ولاشك في أن الأمل معقود على أن تتزايد هذه الأثار
وتتضاعف أكثر بعد أن تدعمت الدراسة بالأزهر وازدادت العناية
بالدور الذي يقوم به في مصر والخارج •

رابعاً - دور الأزهر في شمال أفريقيا :

كان استيلاء المسلمين على مصر في عام ٦٤١ ايذاناً بامتداد سلطانهم غرباً صوب الشمال الافريقي فتوالت سلاطهم على هذه البلاد حتى دخل الشمال الافريقي كله في كنف الدولة العربية العظيمة .

وكان ظهور الدولة العبيدية الفاطمية في البداية في الجزائر حوالي سنة ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م حيث استطاع العبيديون تأسيس دولة شيعية اتسبت الى فاطمة الزهراء زوجة علي بن أبي طالب وابنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي عهد المعز لدين الله سير قائده جوهر في جيش استولى على مصر وبنى مدينة القاهرة في ٥ رمضان ٣٦٢ هـ (٩ يونيه ١٠٧٣ م) ، ثم بنى الجامع الأزهر كما وضعنا سابقاً .

على أن الأحداث التي آلت بشمال افريقية بعد ذلك أدت الى قيام دول منفصلة في أقطاره ، فقامت الدولة الحفصية في تونس ، والدولة المرينية في المغرب الأقصى ، والدولة الزبانية في المغرب الأوسط (٣) .

على أن مصر ظلت دائماً تهتم بما يجرى من أحداث في

(٣٢) ابن بريد التفاصيل عن هذه الأحداث يرجع الى :
شوقي الجمل : المغرب العربي التبرير في العصر الحديث ١٩٧٧ .

المغرب ، كما أن عددا من المغاربة كان يلوذ بمصر هربا مما يحيق بهم من أخطار في بلادهم ، فقد أصبحت مصر وطننا ثانيا لكثير من المغاربة حيث طاب لهم المقام في التكايا والخواق والزوايا .

وهن مظاهر العلاقات بين مصر ودول المغرب أيضا وفود جماعات الحجاج كل سنة الى القاهرة واقامتهم بها مدة قبل التجهز للسفر الى الحجاز ، وقد هيأت فرصة موسم الحج مجالا للتواصل والمهاداة بين ملول المغرب وسلطين مصر .

على أن وجود الأزهر - أكبر جامعة اسلامية في العالم العربي - في مصر ، جعل لمصر مكانة خاصة لدى المغاربة - فكان يفد اليه طلاب المغرب لطلب العلم . وقد جاء في كتب التراجم مثل (الدرر الكامنة) و (الضوء اللامع) خبر كثيرين ممن رحلوا الى مصر من المغرب لتلقى العلم في الأزهر أو الاستزادة من علمائه ، وقد فضل بعضهم العودة الى بلاده بعد أن يأخذ قسطا من التعليم فيعلو ذكره هناك بينما آثر البعض الآخر الإقامة بمصر (٣٣) .

وممن وفد الى مصر من علماء المغرب عبد الرحمن بن خلدون جاء الى مصر لائذا بها مما لقيه في معترك الاضطراب السياسي في شمال افريقية ، ووصل الاسكندرية في عيد الفطر عام ٧٨٤هـ /

(٣٣) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤١١ - ٤١٢ .

١٣٨٢ م . ثم انتقل الى القاهرة وقام بالتدريس بالجامع الأزهر
واعترف بما لعلماء مصر من الباع الطويل في العاوم . وفي مصر
عكف ابن خلدون على تصحيح كتابه العبر ومقدمته وقد مات
ابن خلدون في مصر في عام ٨٠٨ هـ .

وقد شجع الانقسام والتعصب - الدول الاوربيه الطامعة
في بلاد المغرب على تحقيق أطماعها في دول المغرب . وقد افتتحت
البرتغال وأسبانيا صفحة الاستعمار الأوربي للبلاد العربية في
شمال افريقية بهجومها على بلاد المغرب الافريقي ، ونجح
الأتراك العثمانيون بعد أن بسطوا نفوذهم على مصر في أوائل
القرن السادس عشر في أن يبسطوا نفوذهم على الجزائر وتونس
وليبيا وحالوا فترة من الزمن دون وصول الاطماع الأوربية
الى هذه البلاد - لكن ما أصاب الدولة العثمانية من ضعف
فيما بعد ، وما أصاب العالم العربي من ركود - سهل على
الدول الاستعمارية الأوربية تحقيق أطماعها في هذه البلاد ،
فاستولت فرنسا على الجزائر في عام ١٨٣٠ وعلى تونس في
عام ١٨٨١ كما استولت على المغرب في عام ١٩١١ واقتسمت
الأمر فيه مع أسبانيا التي كان من نصيبها منطقة الريف ، بينما
استطاعت إيطاليا في عام ١٩١١ أن تمد نفوذها الى ليبيا ،
وكانت بريطانيا قد فرضت حمايتها على مصر منذ عام ١٨٨٢ .
وقد حاولت فرنسا في البلاد التي خضعت لها بشمال

أفريقيا أن تفضى على الثقافة العربية فئات سياسة الاستيعاب أو الفرنسية هي طابع الاستثمار الفرنسي ، ولذا عمدت فرنسا للحد من نشاط جامع الزيتونة بتونس والقرويين بالمغرب ، كما لم تنظر بعين الارتياح لجهود الأزهر ورجانه في نشر الثقافة العربية والدينية بين طلاب شمال أفريقيا الخاضعة لسيطرتها . ورغم ذلك فقد نجح بعض العلماء الجزائريين في عام ١٩٣١ في تأسيس جمعية رسمية كان يرأسها عبد الحميد بن باديس أحد خريجي جامع الزيتونة لخدمة الأغراض الدينية .

على أن السياسة التي انبعتها فرنسا في تشجيع تعلم اللغة الفرنسية والأدب الفرنسي والتاريخ الفرنسي وفتح المعاهد والمدارس لهذا الغرض واتاحة فرص العمل أمام ممن يتقنون الفرنسية ومن يتطبع بطباعتهم وعاداتهم - واعتبار الفرنسية اللغة الرسمية ولغة المعاملات - أدى كل هذا لخلق جيل يجهل الكثير عن لغة وأدب بلده وحضارته بل وتعاليم دينه ، فقد كانت مناهج المدارس تسير على النظام الفرنسي بينما كان المسلمون الذين يصرون على أن يتعلم أولادهم في المراحل الأولى القرآن واللغة العربية والتاريخ العربي لا يجدون في المدارس التي تدعمها الدولة المستعمرة أو في المدارس التي تسير

على النظام الفرنسى ما يشجع على ارسال اولادهم للتعليم .
ولذا فثنت الامية بين المواطنين فى هذه البلاد (٢٤) .

وإذا اضفنا الى ذلك أن المدارس الثانوية التكميلية التي
انشئت كان أنعميم فيها باللغة الفرنسيه . وكانت هناك حدود
للسن تفيد دخول الوطنيين - أدركنا أن هذه المدارس انشئت
أصلاً لخدمة أبناء المستوطنين الفرنسيين - ولذا ذات نسبة
الإنطمال الذين يرتادون المدارس ممن هم فى سن التعليم فى هذه
البلاد التي خضعت للاستعمار الفرنسى لا تتعدى ١٠٪ (٢٥) .
ولذلك كانت المشكلة العامة التي واجهت هذه الأقطار
الثلاثة (الجزائر ، وتونس ، والمغرب) بعد الاستقلال هي
محاولة تعريب التعليم ، والعمل لاستعادة هذه البلاد لوجهها
العربى ، وتقويم الأوضاع السيئه المترسبة من عصر الاستعمار .
وفى هذا المجال برز دور الأزهر ورجاله وبعثاته . والاحصاءات
عن أعداد الطلاب الوافدين الى الأزهر من بلاد شمال افريقيا
وعن البعوث الأزهرية الى هذه البلاد ناطقة بهذه الجهود
المشكورة (٢٦) .

Thompson, Virginia & Adolf, Richard : French West (٢٤)
Africa (London 1958). P.30

(٢٥) كلود ، هنرى ، برنان أندرية ، لوكرست اينى : الاستعمار الفرنسى
فى المغرب العربى (د . ت) ص ٢ .
(٢٦) جامعة الأزهر ادارة التخطيط والاحصاء - كذلك احصاءات ادارة
البعوث - مجمع البعوث الاسلاميه .

ولا يختلف الوضع فيما يتعلق بليبيا عن الوضع في المستعمرات الفرنسية فقد أصدر مجلس النفاست الأعلى قانون الجنسية بهدف تشجيع التجنس بالجنسية الايطالية واتقان اللغة الايطالية . وحرّم الايطاليون على العرب تأسيس النوادي الأدبية أو العلمية أو الاجتماعية كما منعت الصحف المصرية من الوصول الى ليبيا ، وغيّرت أسماء الشوارع والبياديين كلها وأطلقت عليها أسماء ليبية ، ولم يبق من المدارس العربية الا القليل . وفي الوقت الذي كانت تعاني فيه هذه المدارس من قلة الأجهزة العلمية الضرورية - كانت المدارس الايطالية مجهزة بالأجهزة والوسائل التعليمية الحديثة ، ونفشت الأمية بين السكان الليبيين وأصبحوا يجهلون كل ما يمت لحضارتهم وتاريخهم بصلة ، وحالت إيطاليا دون سفر الليبيين لمصر للاتحاق بمدارسها ومعاهدها ، وبالأزهر الشريف ، كما حاولت دون حضور رجال الأزهر الى ليبيا للقيام بواجبهم نحو اخوانهم الليبيين . وقد ظل الأمر كذلك حتى هزمت قوات المحور وانتهى الأمر بتقسيم ليبيا الى ثلاث ادارات عسكرية ادارة انجليزية في كل من برقة وطرابلس وادارة فرنسية في فزان - واستمر الوضع كذلك حتى قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٩ أن تكون ليبيا التي تشمل برقة وطرابلس وفزان دولة واحدة مستقلة ذات سيادة على أن يتم ذلك في موعد لا يتجاوز أول يناير ١٩٥٢ .

وكان على الليبيين بعد حصولهم على الاستقلال أن يقوموا هم أيضا بتعويض ما فاتهم نتيجة سنوات الاستعمار وسياسته ، وقد برز دور الأزهر أيضا في هذا المجال .

خامسا - دور الأزهر في غرب افريقيا :

منذ أن فتح العرب مصر وامتد نفوذهم لشمال افريقيا وقامت في شمال افريقية دول اسلامية قوية أخذ الاسلام ينتشر الى غرب افريقية وما كان يطلق عليه السودان الغربي ، وانتهى الأمر بتكوين ممالك بل امبراطوريات اسلامية في غرب افريقية (مملكة غانا ، ومملكة مالي ، ومملكة سنغاي ، ومملكة برنو ، وكانم) - دول تتجه بوجهها شمالا الى المغرب وشرقا الى مصر وسودان وادى النيل والجزيرة العربية مهد الاسلام ، فلم تكن الصحراء الكبرى عامل فصل بل معبرا عبرته التجارة والحضارة وظلت طريقا رئيسيا تعبره القوافل طوال العصور الوسطى والحديثة حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر . وكان أداء فريضة الحج وطلب العلم من أبرز ما ربط بين مصر ودول شمال افريقيا .

وقد كثر الحديث عن حج سلاطين دول غرب افريقيا ورعاياهم ومرورهم بمصر في طريقهم الى الحجاز ، وكانوا يستقرون بمصر زمنا ليس قصيرا حتى يتهيأ ركب الحجاج والمحمل الى مكة . والطريق الذي درج حجاج تلك النواحي

على سلوكه هو الدرب الصحراوي المعروف بطريق غات والذي
يبتدىء من مدينة غات نفسها وينتهي عند الأهرام بالجيزة (٣٧) .

ومن أشهر مشاهد الحج التي ذكرت في التاريخ الذي كان
على رأسه منسا موسى سلطان مالي والذي قدم مصر
سنة ٧٢٤ هـ - ١٣٢٣ م . وقد ذكر العمري في مسالك
الأبصار الكثير عن أبناء ذلك الركب التكروري الذي ظل الناس
يتحدثون عن أخباره بعد رحيله بسنين - فأشار الى أن ذلك
المملك امتاز عن سبقة من ملوك التكرورين ممن قدموا الى مصر
بما أحاط به نفسه من مظاهر الترف .

ومما يذكر أن هذا السلطان اتتهز فرصة وجوده بمصر
فابتاع جملة من الكتب ليوفر لأهل مملكته طرفا من مناهل
الثقافة الاسلامية .

ويقال أن مدرسة تيبكتو - المدينة التي أنشئت حوالي
عام ١٣٢٥ م - كانت تحاول أن تحتذى بالأزهر في أساليبها
التعليمية ، كذلك يبدو أن سلاطين هذه البلاد كانوا يغرون
العلماء والفقهاء للحضور لعاصمتهم ، فاحاطوا أنفسهم بعدد من
هؤلاء العلماء والفقهاء . وقد ذكر ابن بطوطة والذي زار سلطان
مالي منسا سليمان (١٣٣٨ - ١٣٦٢) الذي خلف منسا موسى

(٣٧) ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٤٠ - ٤٣ .

والدري : مسالك الامصار ص ١٥٤ - ١٥٥ .

« انه وجد حوله حاشية من ثلاثين عالما وفقهيا من علماء
وفقهاء مصر » (٣٨) •

وقد برزت عدة مراكز حضارية في غرب افريقيا اجتذبت
طلاب العلم من كل أجزاء غرب افريقيا (٣٩) •

كما اشتهرت بعض مساجدها مثل جامع سنكورى الذى
كانت له مكانة تشبه مكانة الجامع الأزهر ، وعمرت مكاتب
هذه المساجد بالكتب التى حرص السلاطين على جلبها من مصر
وغيرها من البلاد الاسلامية •

وفي النصف الثانى من القرن التاسع عشر استطاعت القوى
الاستعمارية فى غرب افريقيا أن تتوغل فى مراكزها الساحلية ،
وتسيطر على الدول الاسلامية الداخلية فى غرب القارة وتوجهها
نحو الموانىء المحيطية ، وظل الأمر كذلك حتى استطاعت دول
غرب افريقية أن تستقل وتعيد علاقاتها وروابطها الحضارية مع
المغرب ومصر (٤٠) •

(٣٨) ابن بطوطة : ج ٤ ص ٣٩٧ •

Hogben : Mahamundan Emirates of Nigeria P. 51. (٣٩)

(٤٠) عبد العزيز كامل (دكتور) : جغرافية الاسلام فى افريقيا (د.ت)

ص ٧٧ •

ملاحظة : سنعرض للحديث عن اثر الأزهر فى قيام الحركات الإصلاحية
فى غرب افريقيا فيما بعد •

.. واذا كانت الروابط الحضارية بين مصر وغرب افريقيا قد ضعفت في عهد الاستعمار - لكن لم تلبث هذه البلاد بعد حصولها على استقلالها أن عاودت علاقاتها بمصر ، وعقدت المعاهدات الثقافية والاقتصادية بين مصر ودول غرب افريقيا المستقلة ، وتعددت المؤتمرات وكثرت زيارات رجال الأزهر لهذه البلاد كما تعددت وفود هذه البلاد لمصر للالتحاق بالأزهر وتلقى العلم في جامعته ومعاهده .

وقد وقعت بين مصر والدول الافريقية المستقلة في غرب افريقيا اتفاقيات للتعاون في المجال الثقافي والاقتصادي كما وقعت بروتوكولات طويلة الأجل واتفاقيات عسكرية وفنية (٤١) .

هذا وللأزهر اتصالات بالجمعيات الاسلامية في دول غرب افريقيا كالاتحاد الثقافي ، والمجلس الأعلى الاسلامي ، واتحاد مدرسي اللغة العربية بساحل العاج . ويزود الأزهر هذه الجمعيات بحاجتها من الكتب والمراجع الدينية وغير ذلك مما تحتاجه لاتمام رسالتها (٤٢) .

(٤١) من بعض هذه الاتفاقيات (انظر) :

محمد عبد القادر أحمد (دكتور) : المسلمون في غينيا ١٩٨٦
ص ١٢٨ - ١٣٠ .

(٤٢) كوتري عبد الرحمن : الاسلام والمسلمون في ساحل العاج (١٩٨٢)
ص ١٦١ وما بعدها .

ولاشك في أن الأمل معقود على مضاعفة هذه الصلات بين
مصر وهذه البلاد الأفريقية في المستقبل .

ونشير ونحن بصدد الحديث عن دور الأزهر في غرب
أفريقيا إلى أن من مجالات نشاط رجال الأزهر في هذه
البلاد دورهم في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي في البلاد
الإسلامية غير الناطقة بالعربية ، ونشير بالذات إلى هذا الدور
داخل نطاق (الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية
الدولية) ، وللاتحاد مراكز تربوية أحداها في القاهرة ، كما أن
الأزهر يسهم بدور فعال في تدعيم مدارس ومراكز التعليم الديني
الإسلامية في غرب أفريقيا وتزويدها بما تحتاجها من المدرسين
والكتب والأدوات .

الطرق الصوفية والحركات الإصلاحية في افريقيا ودور الأزهر فيها

محتويات الفصل :

- ظهور علماء في الأقطار الافريقية متأثرين بما تعلموه
من مبادئ الاسلام وتعاليمه •
- الطرق الصوفية تجد في افريقيا مكانا مناسباً لها
(القادرية - التيجانية) •
- الحركة السنوسية كمثل للحركات الدينية التي عملت
للعودة بالاسلام لمبادئه الأولى وجاهدت ضد
الاستعمار •
- الحركة المهديّة واتصالها بالسنوسية والاختلاف بين
القائمين بالحركتين •

١٠٤ — الحركات الإصلاحية في غرب أفريقيا وهدفها ودورها
أمثلة لهذه الحركات :

(أ) حركة عثمان بن فودي ونشاطه بين قبائل

الفولاني وفي امارات الهوسا .

(ب) حركة الشيخ أحمد ولوبو في ماسينا .

(ج) حركة الحاج عمر التكروري .

— تأثير رواد هذه الحركات بالأزهر وتعاليمه .

— دورهم في نشر تعاليم الاسلام ومبادئه

والثقافة العربية في غرب القارة وتصديهم

للاستعمار الأوربي .

رأينا أن مناطق شاسعة من القارة الأفريقية تأثرت بالحضارة الإسلامية العربية في وقت مبكر منذ أن مد العرب نفوذهم إلى شمال القارة وغربها وشرقها ، وساهمت هذه الحضارة العربية الإسلامية مساهمة فعالة في التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي في البلاد التي امتدت إليها . ولم يهدف الإسلام إلى هدم المجتمعات القديمة بكل مقوماتها بل تطويعها للدين الجديد وما يأمر به وما ينهى عنه .

وبرز في هذه الأقطار الأفريقية علماء وفقهاء تركوا لنا ثروة علمية وفقهية في مختلف مجالات العلوم الإسلامية والانسانية ، وما زال الكثير منها حبيس دور الوثائق ، غير ما نقل من هذه الثروة للمكتبات الأوربية ، وما فقد منها . وهذه الثروة العلمية التي تركها علماء أفرقة تأثروا بالتعاليم الإسلامية وتفقهوا في الدين والعلم وجددوا - جزءا من تراثنا الإسلامي العربي يجدر

بنا أن نبذل جهودا مضاعفة للحفاظ عليها وللبحث عنها في نطاقها
وان تلقى عليها الأضواء .

وقد ارتبط ازدهار الثقافة الاسلامية العربية في افريقيا
وفي غربها بالذات بانتشار الطرق الصوفية - فقد اتاحت الظروف
البيئية في افريقيا فرصة لهذه الطرق لتنتشر وتزدهر ، خاصة
التيجانية والقادرية وما انبثق عنهما من طرق فرعية أخرى . وقد
لعبت هذه الطرق وأتباعها دورا كبيرا في نشر الثقافة الاسلامية
في هذه الجهات وفي مقاومة الاستعمار الأوربي فيما بعد حين
اندفع الى المنطقة طامعا في ثرواتها متسلحا بما أمده به النهضة
الأوربية من أسلحة مكنته من اختراق المناطق المجهولة (١) .

وقد زاد عدد أتباع الطرق الصوفية ولاسيما بين المشتغلين
بالتجارة من العلماء والفقهاء ، وقد أصبح كل مسلم تقريبا

(١) نشأت القادرية في العراق في القرن الحادى عشر الميلادى وتنسب
الى سيدى عبد القادر الجيلانى ، وقد انتقلت بعد ذلك لمناطق عدة من العالم
الاسلامى . واول من نشر القادرية في بلاد السودان الغربى سيدى أحمد البكاء
والشيخ محمد عبد الكريم المغبلى التلمسانى في القرن الخامس عشر الميلادى ،
ولا تكاد تخلو دولة من دول غرب افريقيا من أتباع الطريقة القادرية .
اما الطريقة التيجانية فننسب للشيخ أحمد بن محمد التيجانى ، وقد
نشرها في غرب افريقيا الحاج عمر الفوى وقد انتشرت في السنغال وفي
نيجيريا وغيرها .

انظر ارنولد ، توماس : الدعوة الى الاسلام ترجمة د. حسن ابراهيم حسن
(١٩٥٩) ص ٣٦٥ .

يرى لزاما عليه أن يرتبط باحدى هذه الطرق الدينية ، وأقام اتباع هذه الطرق الزوايا للعبادة ولايواء الوافدين المحتاجين للمأوى والطعام وللاعتكاف بعيدا عن زخرف الحياة وملذاتها للدرس والتفقه في شئون الدين ، وكانت لكل طريقة تنظيماتها وأعضاؤها وعلى رأسهم شيخ الطريقة ، كذلك لها أورادها وتقاليدها الخاصة ، هذا وان كانت جميع تلك الطرق ترمى الى غاية واحدة وهى الوصول بالنفس الانسانية الى درجة الكمال - لكن الوسيلة لتحقيق هذه الأهداف اختلفت من طريقة لأخرى .

وقد انتشرت القادرية بالذات في السودان الغربى خاصة في القرن الخامس عشر ، وانتشر أتباع هذه الطريقة من الفقهاء المريردين من السنغال الى مصب النيجر وأقاموا المراكز لبث دعوتهم في مختلف الجهات ، بل نظموا البعوث الى الأزهر الشريف والقيروان والمعاهد الدينية الأخرى التى اشتهرت في العالم الاسلامى ، وانتشرت القادرية في جنى وتمبكتو وغيرها من العواصم بغرب افريقيا وتفرعت منها نظم جديدة اتخذت أسماء أخرى تنتسب الى الشيوخ الذين اعتنقوها وعملوا على نشرها .

أما التيجانية فقد ازدهرت أيضا في غرب افريقيا بالذات وانتشر اتباعها في حوض السنغال وكذلك في تمبكتو وسيجو ، وأسسوا الزوايا في كانو ، وبرنو ، وواداي ، وشنقيط ،

. واستمرت الطريقة التيجانية في النمو والازدهار وزاد عدد اتباعها حتى أصبحت الطريقة السائدة في كثير من بلدان غرب إفريقيا (٢) .

وكما ذكرنا فان هذه الطرق الصوفية لعبت دورا هاما وخطيرا في مقاومة الدول الاستعمارية حين حاولت مد نفوذها للأقطار الافريقية - وان كان الدور الذي لعبته هذه الطرق الصوفية في مقاومة الاستعمار لم يكشف عنه النقاب تماما الى الآن اذ أن اتباع هذه الحركات والمريدين الذين التفوا حولهم اعتبروا الجهاد السياسي المتصل بالوطن وحرية والوقوف في وجه أعدائه والمفتسين جزء من واجبهم لا ينفصل عن الجهاد في سبيل نشر الدين . ومعظم المراجع الأجنبية على وجه الخصوص تعالج الأمر على أنه ثورات من أفراد خارجين على القانون وعلى النظام ، فواجبنا يحتم علينا أن نضع هذه الحركات الوطنية في مكانها الصحيح .

وقد أدى تبني هذه الحركات لفضية الجهاد الوطني الى شعبيتها واندفاع الشباب بالذات للانضمام اليها .

(٢) لم يبريد التوسع في دراسة التيجانية يرجع الى :
١ - أبو العباس أحمد بن أحمد العياشي : كشف الحجاب على من تلقى مع التيجاني من الاصحاب (فاس ١٣٢٥ هـ) .
ب - جواهر الماني وبلوغ الاماني في منفي الشيخ التيجاني - المعروف بالكناشي (القاهرة ١٣٤٥ هـ) .

فكما ذكرنا لا يوجد شاب في غرب افريقيا الا وانضم لهذه
أو تلك من الحركات الصوفية ، ونحن لا نستطيع أن نلم بجميع
الحركات الصوفية أو الدينية أو ما تفرعت عنها من حركات
في افريقيا والدور الديني أو السياسي الذي قامت به - لكن
نشير لبعضها •

فمثلا من الحركات التي برزت في شمال افريقيا والتي كان
لها دور في مواجهة الاستعمار - الحركة السنوسية وهي التي
تنسب الى محمد بن علي السنوسي ، ويرجع نسبه الى ادريس
الأكبر أول خلفاء الأدارسة بالمغرب ثم الى علي بن أبي طالب
وزوجته فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) •

وقد ولد السنوسي الكبير حوالي عام ١٧٨٧ بالتقريب من
مستغانم في الجزائر ، وتعلم على فقهاء وعلماء عصره في
مستغانم ، وفاس ، ومصر ، والحجاز ، وقد قام برحلة الى الحجاز
وعاد منها الى مصر حيث اتصل بعلماء الأزهر في القاهرة وانتهى
به المطاف الى برقة حيث أسس زاوية البيضاء بها في أواخر
عام ١٢٥٨ هـ - ١٨٤٢ م ولما بنيت زاوية جنوب في عام ١٨٥٦
انتقل اليها وأصبحت مركزا للدعوة السنوسية •

والدعوة السنوسية كما يفهم مما تركه السنوسي الكبير من

(٣) الانساب ، محمد الطيب بن ادريس : السنوسي الكبير ١٩٥٦ ص ٧ •

مؤلفات (٤) كانت تدعو الى العودة بالاسلام الى ما كان عليه في عهد الرسول والخلفاء الراشدين ونبذ ما جد من أشياء أخرى تتنافى وتعاليم الاسلام الصحيح ، فقد كان الدعاة السنوسيون يطالبون الناس بالتمسك بمبادئ الاسلام الصحيحة •

وقد كانت الزوايا السنوسية تشتمل على فصول للدراسة وأماكن لايواء الطلبة والمدرسين ، وقد عمرت جُجُوب وغيرها من زواياهم بالعلماء واشتهرت بخزائنها العلمية •

وقد كان السنوسى الكبير غزير العلم ، مغرما باقتناء الكتب عن الشريعة الاسلامية وعلم الفقه والتصوف والفلسفة والتاريخ ، والتفسير ، وعلم الفلك ، وقد برزت أسماء عدد غير قليل من السنوسيين في سائر العلوم النقلية والعقلية (٥) •

وقد تحاشت السنوسية منذ البداية الدخول في أمور السياسة ، فتجنب السنوسيون الاصطدام بالدولة العثمانية

(٤) من مؤلفاته التي طبعت :

- ايقاظ الوجدان في العمل بالحديث والقرآن (الجزائر ١٣٢٨ هـ) .
 - الدور السنوية في اخبار السلالة الادريسية (القاهرة ١٩٤٣) .
 - مقدمة مرطبا الاسام مالك (القاهرة ١٣٨٥ هـ) .
 - المسائل المشتر او بغية المقاصد و خلاصة المراد (القاهرة ١٩٢٩) .
 - السلاسل المشترية في الاحاديث النبوية (القاهرة ١٣٥٧ هـ) .
- Pritchard Evans : The Sa'usi of Cryenauca (Oxford (٥) 1940) P. 17.

صاحبة النفوذ في مصر وليبيا وتونس والجزائر - لكن حين بدأ الاستعمار الفرنسي والاطالي في هذه البلاد العربية تصدى له السنوسيون واعتبروا مقاومة المستعمرين نوعا من الجهاد المفروض على المسلمين وواجبا عليهم فكانت وقفتهم الباسلة ضد المستعمرين خاصة الايطاليين في ليبيا (٦) .

ويجربى بعض المؤرخين مقارنة بين الحركة السنوسية والحركة المهديية التي قامت في السودان ، وهي حركة دينية أيضا قامت ضد الحكم التركي والتدخل الأجنبي في السودان . والمعروف أن المهدي أراد بعد انتصاراته المتعددة واستيلائه على الأبيض أن يضيف الى قوته قوة السنوسيين - ولعله لمس تشابها في الأهداف بين الحركتين - فدعا المهدي السنوسى ليقبل وظيفة الخليفة الثالث ، ولكن السنوسى احتقر دعوة المهدي لما صاحبها من عنف فلم يستجب لهذه الدعوة ولو بالرد عليه .

ويعطى لنا وينجت (Wingate) تفصيلات هذا الاتصال بين المهدي والسنوسى ، فيذكر انه بعد سقوط الأبيض بفترة قصيرة وصل اليها مندوب من السنوسى عن طريق واداي لكنه

(٦) للمزيد من التفاصيل انظر :

محمود الشنيطى (دكتور) : قضية ليبيا (القاهرة ١٩٥١) .

محمد فؤاد شكرى (دكتور) : السنوسية دين ودولة (القاهرة ١٩٤٥) .

شرقي الجميل (دكتور) : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث

(القاهرة ١٩٨٠) -

شاهد غير ما كان يتوقع اذ شاهد ما أصاب المدينة على أيدي اتباع المهدي من التخريب فكل ذرة رمال كما يقول وينجت كانت ملطخة بالدم ، ورأى في المهدي رجلا ذكيا لبقا في حديثه - لكن كل ما كان يدور في ذهنه كان هو أن يمد سلطته الى أبعد ما يستطيع ، وهذا يناقض تماما الدعوة السنوسية في بناء مجتمع على أساس مقاومة الانحرافات وتنمية موارد الدولة بالعمل . ويقال إن المهدي لما لم يتلق ردا على خطابه الأول من السنوسى أرسل خطابا ثانيا للخليفة محمد المهدي ابن السنوسى الكبير وكان ذلك في رجب ١٣٠٠ هـ (مايو ١٨٨٣ م) يدعو فيه للحضور اليه في السودان للانضمام لقواته والعمل معا (٧) *

ونشير الى أن محمد أحمد المهدي الذى تزعم الحركة المهديّة رغم أنه يغادر السودان وينصل بعلماء الأزهر وغيرهم كما فعل السنوسى - لكنه منذ نعومة أظافره ولع بالعلوم الدينية وغلب عليه الزهد والتصوف وانصرف للعلم وللطرق الصوفية وتعلق بها ، وانه انضم للطريقة السمائية وشيخها الشيخ محمد شريف ولد نور الدايم وكان له مركز ممتاز عند استاذة ،

(٧) تفاصيل هذه الاتصالات ذكرها ونجت

Wingate, Major, F.R. : Mahdism and the Egyptian Sudan (London 1891) PP. 64 — 72.

وانه انضم الى شيخ آخر وهو الشيخ القرشي ، وانه كان يتضابق من أوضاع الناس السيئة فكان يشير الى جامع الضرائب الذي كان بمنتهى القسوة يجرد الراعي من آخر رأس من الغنم يمتلكها أو ينتزع من الزارع آخر حزمة من الذرة التي كان يحملها لغذاء أطفاله فيعلن للناس أن هذا انما يرجع لغضب الله على الناس بسبب انحرافهم ، لكن حان الوقت الذي ترسل السماء فيه المخلص الذي يرشد الناس للطريق السوي ويقودهم للقضاء على الظلم ويخلصهم من الأتراك القساة (٨) .

على أن انتشار الاسلام والثقافة العربية في كثير من المجتمعات الافريقية لم يعن انه حدث تغيير جذري وكامل في هذه المجتمعات فقد حدث أن بقيت أو ظهرت بعد ذلك في بعض المجتمعات خاصة في غرب افريقيا عادات وتقاليد ومبادئ تغاير تماما ما دعا اليه الاسلام ، وأحدث هذا صدمة عنيفة لكثير من العلماء والفقهاء ، ولذا قامت في هذه المجتمعات حركات تدعو الى المحافظة على المثل والقيم الاسلامية التي نص عليها الاسلام وشرائعه ، وقامت حركات للاصلاح تدعو للعودة الى الأصول

Elatin R. : Fer et feu au Soudan (Traduit de l'Édition (٨)
Almenade par G. Bettex (le Caire 1898) T.I. P. 173.

الأولى للمجتمع الاسلامى كما كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عهد الخلفاء الراشدين (١) . -

ويحاول بعض الكتاب أن يجدوا وجها للشبه بين هذه الحركات الاصلاحية التى قامت فى غرب افريقيا وغيرها من الحركات التى قامت فى أنحاء أخرى من العالم العربى ، والحرية الوهاية مثلا التى قامت فى شبه الجزيرة العربية . ولاشك فى أنه توجد بعض أوجه الشبه بين مبادئ هذه الحركات وتلك الحركات وبين أهدافها ووسائلها - لكن توجد أيضا أوجه خلاف أملتها الظروف والبيئات التى قامت فيها كل منها .

ولقد تعددت حركات الجهاد هذه فى امبراطوريات غرب افريقيا - على انا نشير الى أن أهمية هذه الحركات فىنا نحن بصدد الحديث عنه ترجع الى أن معظم المصلحين الذين برزوا فى هذا المجال كانوا ممن تثقفوا بالثقافة الأزهرية وكانت لهم صلة برجال الفقه والدعوة فى مصر ، وكانت لهم مراسلات بينهم وأغلبهم استقر فى مصر فترة من الزمن واختلطوا برجال الدين فيها سواء وهم فى طريقهم الى الحج أم فى مناسبات أخرى .
ويصعب أن نلم بكل هذه الحركات الاصلاحية أو ان

Willis, J. Ralf. : Jihad Ft Sabil Allah (Journal of (١)
African History Vol III No. 3 1967) P. 400.

نعطى فكره عن تاريخ الدين قاموا بها - لكن سنشير الى بعض هذه الحركات والدور الذي قامت به باعتبار أن ظاهرة الحركات الاصلاحية في غرب افريقيا والتي برزت في القرن التاسع عشر على الخصوص كانت ظاهرة هامة ميزت تاريخ غرب افريقيا في هذه الفترة ♦♦

ومن ابرز حركات الاصلاح التي قامت في غرب افريقيا :

١ - حركة عثمان بن فودي :

ولد عثمان بن فودي في عام ١١٦٩ هـ - ١٧٥٤ م من أسرة متدينة بامارة جوير أحد اقاليم نيجيريا الشمالية ، ولدا نشأ نشأة دينية ، وتلقى دروسه الأولى على يد أبيه فقد كان فقيها . ثم أقبل على علوم العربية يستزيد منها ، وانتقل الى أغاديس (Agades) شمال نانو حيث كانت مركزا للثقافة والعلم في غرب افريقيا ، واتصل بأحد شيوخ الطريقة القادرية - الشيخ جبريل بن عمر - وصار من أقطاب هذه الطريقة ، ولعل ذلك أثر على حياته فنشأ صوفيا وربما فقيها يتمسك بتعاليم الاسلام ويدعو اليها ويحث الناس على التمسك بها (١٠) ♦

وبدأ الشيخ عثمان نشاطه بين قبائل الفلاني التي كان ينتمي

(١٠) عبد الله بن فودي : نسياء التأويل في معاني التنزيل (مطبعة

الاستقامة بالفاخرة) ج ١ ص ٥ .

اليها فكان يعلم ويعظ ولا يكف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١١) .

وقد ازداد عدد اتباع وتلاميذ الشيخ عثمان ولم يكن يوجه توجيهاته الى الحكام بل الى أفراد الشعب - لكن حين دعاه أمير جووير المدعو باوا (Bawa) للقدوم للامارة وهي احدى امارات الهوسا واكرمه الأمير وسهل له أمر التحرك في الامارة لوعظ الناس وارشادهم - ابتدأت الحركة ترتبط بالأوضاع السياسية في امارات الهوسا بصفة خاصة وفي غرب افريقيا بصفة عامة (١٢) .

(١١) حسن أحمد محمود (دكتور) : مرجع سابق ص ٢٨٨ .
ملاحظة : اخلعت الآراء عن أصل قبائل الفولاني وهل هي اصلا من غرب افريقيا أم انها وفدت الى هذه المناطق - والبعض يرى ان الفولاني من مصر العليا وانهم هاجروا غربا عبر شمال افريقيا ثم واصلوا رحلتهم جنوبا .
والعرب يطلقون عليهم اسم الفلانا .
انظر : حسن أحمد محمود : مرجع سابق ص ٢٨٦ .
وكذلك ابراهيم طرخان (دكتور) : امبراطورية البرنو الاسلامية ص ١٢٠ .

(١٢) الهوسا - قبائل انتشرت في المنطقة التي تحدها الصحراء الكبرى شمالا وبنو شرقا وبنية النيجر غربا وانتشرت في الربوع الساحلية بخليج غانا ، وتوجو ، وداهومي ، وبنين ، والكمرون - وقد تعدادهم ب ١٥ مليون نسمة . وقد دخلوا في الاسلام منذ اوائل القرن الرابع عشر واولئ الخامس عشر عن طريق التجار ، وهناك روايات متعددة حول أصلهم . وقد زار الرحالة ابن بطوطة بلادهم في عام ١٣٥٢ وذكر ان اغلبهم كان لا يزال على الوثنية ، وقد اصبحت لهم =

فقد اصطدم الشيخ عثمان بن فودي بحكام جويير الذين هالهم ما لقيته دعوته من انتشار ، وازدياد عدد أتباعه لدرجة أن حكام جويير دبروا مؤامرة لقتل الشيخ مما اضطره للهجرة لمكان أمن حيث أصدر (وثيقة أهل السودان) التي دعا فيها

= لفة عرفوا بها وتعتبر الآن من أهم اللغات المعروفة في نيجيريا ، وهم يعملون بالزراعة والتجارة وبعض الصناعات الأولية .
وكانت القواصل تخترق بلادهم من الساحل الشمالي لافريقيا صوب الداخل ، وقد لب محمد بن عبد القادر المفلح دورا هاما في نشر الاسلام بين قبائل الهوسا .

وقد كانت للهوسا عدة دولات مستقلة على رأسها حكام منهم في : جوير وكانو ، ووانو ، وكسينة ، وزارية . وان كانت قد خضعت اسما في أوائل القرن التاسع عشر لسلطة برنو - لكن الحروب كانت دائمة ومستمرة بين هؤلاء الحكام بعضهم والبعض الآخر وبينهم وبين سلطان برنو .

وقد امتطاع عبد الله دان فوديو أن يخضع دولات الهوسا لسلطانه بعد حروب استمرت قرابة خمسة عشر عاما فدخلت قبائل الفولة بزعامته بلاد الهوسا .

لكن استطاعت انجلترا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر اخضاع بلاد الهوسا ، وعقدت مع كل من فرنسا وألمانيا معاهدات اعترفت لها فيها هاتين الدولتين بسيادتها على هذه البلاد .

وقد أصبحت القبائل التي تتحدث اليوم لغة الهوسا متركزة في الاقاليم الشمالية من نيجيريا (سكوتو ، وكانو ، وزارية ، وكسينة ، وباوكي) بل يسكن بعض قبائلهم في مالي بالسودان الفرنسي سابقا - انظر :
- دائر المعارف الاسلامية مادة حوصة .

- عبد الرحمن زكي (دكتور) : تاريخ الدول الاسلامية السودانية بإفريقيا الغربية (١٩٦١) ص ١٩١ - ١٩٢ .

للجهاد ضد الذين يقفون في وجه الدعوة الاسلامية وشرح
مبررات الجهاد (١٣) .

وقد استجابت جماعة الفولاني لنداء الشيخ وهبت لنصرته
ضد حكام بلاد الهوسا وقد تحركت قوات امارة جووير للاغارة
على الأماكن التي تجمع فيها أتباع الشيخ - لكن قوات الشيخ
استطاعت أن توقع الهزيمة بالمهاجمين (١٤) .

ولم تتوقف الحرب بين الطرفين بل استمر القتال واستطاعت
قوات الفولاني السيطرة على عدة مدن من مدن الهوسا . وفي
عام ١٨٠٥ سقطت امارة زاريا في يد محمد بللو بن عثمان بن
فودي وتبعها عدة امارات من امارات الهوسا حتى دانت معظم
مدن الهوسا للشيخ عثمان وأتباعه .

وفي عام ١٨٠٨ سقطت مدينة الكالاوا عاصمة جووير في يد
قوات الفولاني وتبعها اعتراف حكام الامارات المجاورة بالولاء
للشيخ ، وهكذا أصبحت تحت سلطة الشيخ عثمان وأتباعه
امباطورية شاسعة بلغت مساحتها حوالي ١٨٠٠٠٠ ميل مربع
وبسكنها حوالي عشرة ملايين نسمة .

(١٣) انظر نيلز زانج
Journal of African History Vol. II (1961) P. 236 - 243
Panikkar, Madhu : The Serpent and The Crescent P. (١٤)
175.

ووجد الشيخ انه من الصعب أن يحكم هذه الامبراطورية
الشاسعة حاكم واحد فقسمها الى قسمين :

١ - شمالي شرقي - عين ابنه محمد بللو الاشراف
عليه *

٢ - القسم الجنوبي الغربي - عين أخاه الأصغر
عبد الله بن فودي للاشراف عليه *

أما الشيخ فقد انسحب منذ عام ١٨١٢ من الحياة السياسية
وتفرغ للنصح والارشاد والتأليف حتى توفي في عام ١٨١٧ *

وكانت مدينة سوكوتو هي العاصمة الرسمية لهذه
الامبراطورية قد تولى الحكم والادارة في هذه الامبراطورية
أبناء الشيخ واستمروا طوال قرن كامل من الزمان تقريبا
يحافظون على حدود الدولة ويعملون على نشر الاسلام وتطبيق
الشريعة الاسلامية - حتى أخذت القوات الاستعمارية الأوربية
تطبق على المنطقة ، وانتهى الأمر بامتداد النفوذ البريطاني الى
هذه الجهات فسقطت سوكوتو العاصمة في يولييه ١٩٠٣ في يد
القوات البريطانية ودخلت امبراطورية الفولاني ضمن ما أطلق
عليه اسم (محمية نيجيريا الشمالية) (١٥) *

(١٥) لمن يريد تفاصيل هذه الأحداث يرجع الى :

عبد الله عبد الرازق براعيم (دكتور) : الاسلام والحضارة الاسلامية

في نيجيريا (١٩٨٤) *

وقد بلغ عدد حكام دولة سوكتو في الفترة من ١٨١٧ الى سقوط الدولة عام ١٩٠٣ أحد عشر خليفة . على أن هذه الدولة التي أقامها عثمان بن فودي وان كانت قد سقطت في عام ١٩٠٣ فان المبادئ التي غرسها والتي قامت عليها الدولة لم تمت بانتها الدولة ، فقد ساعدت الحركة الاصلاحية الفولانية على ازدهار الحضارة العربية وعلى نشر وترسيخ المبادئ الاسلامية في غرب افريقيا ، وبذا كان القرن التاسع عشر عصر ازدهار الثقافة العربية في هذه البلاد ، وصارت مراكز العلم بهذه البلدان أماكن يلجأ اليها الراغبون في المزيد من الثقافة العربية من مختلف بلدان القارة ، هذا بالإضافة الى أن النظام الاداري (١٦) الذي اتبعته دولة سوكتو والذي حاول الحكام فيه أن يطبقوا الشريعة الاسلامية وما كان متبعاً في البلاد العربية ك مصر وغيرها من البلاد الاسلامية - أصبح نظاماً راسخاً في نفوس الناس واعتادوا عليه حتى أن بريطانيا بعد أن وضعت قبضتها على هذه البلاد وجدت من الأيسر أن يستمر الهكل العام للنظام الاداري الذي كان سائداً كما كان دون تغيير جذري طالما أن النظام لا يتعارض مع سياسة بريطانيا الاستعمارية في هذه البلاد .

(١٦) عن النظام الاداري - ونظام القضاء وغيره في دولة سوكتو

يرجع الى :

عبد الله عبد الرازق (دكتور) : نفس المرجع السابق .

٢ - حركة الشيخ أحمدو لوبو :

هى حركة اسلامية أخرى قام بها أحمدو لوبو أحد اتباع الشيخ عثمان بن فودى فى منطقة ماسينا على نهر النيجر الأعلى لكنه رفض أن يخضع لسلطة دولة سوكوتو وأعلن نفسه أميراً للؤمنين ، وكان الهدف من الحركة أيضاً محاربة الوثنية التى كانت لاتزال منتشرة فى هذه البلاد وتدعيم مبادئ الاسلام الصحيح ونشر الثقافة العربية الاسلامية بين القبائل فى النيجر الأعلى •

وقائد هذه الحركة الشيخ أحمدو لوبو ينتمى الى احدى العشائر القولاية المسلمة التى استقرت فى منطقة ماسينا • وهناك خلاف حول تاريخ ولادته لكن من المعروف أنه بدأ نشاطه فى دعوة الناس للتمسك بالدين الاسلامى وتعاليمه فى أواخر القرن الثامن عشر حوالى عام ١٧٩٧ م ، وكان قد انتقل الى مدينة جنى التى كانت فى ذلك الوقت من مراكز الثقافة الاسلامية المزدهرة حيث تعمق فى علوم التفسير والفقہ وعلوم الدين الأخرى وأصبح من أتباع الطريقة القادرية التى انتشرت على نطاق واسع فى غرب افريقيا (١٧) •

(١٧) من تاريخ حياته انظر :

Ajayo and Crowder, M. : History of West Africa Vol. II P. 15.

وبالقرب من مدينة جنى بدأ يعلم ويدعو الشباب للتمسك بمبادئ الدين والبعد عما ينهى عنه ، واستمر يعظ الناس لمدة تقرب من عشرين عاما ، وهاجم الحكام والعلماء الذين يتهاونون في تطبيق الشريعة الاسلامية . وحين وصل العداء بينه وبين حاكم جنى لدرجة ان تأمر الحاكم على قتلة اضطر للهرب مع بعض أتباعه الى مدينة سوى (Soy) ، ولما اشتد ساعده وكثر عدد أتباعه هاجم جنى ، وتمسكت ، وكرتارى ، واستطاع بذلك أن يؤسس دولة شاسعة الارحاء في هذه المناطق الهامة بغرب افريقيا . وأسس في عام ١٨١٥ عاصمة جديدة لدولته أطلق عليها اسم مدينة (حمد الله) .

وحاول أن يدير شئون دولته حسب الشريعة الاسلامية فقسمها الى امارت عين أميراً لادارة كل منها ، وأنشأ بيتا للمال ، ووضع نظاما اقتصاديا وفق الشريعة الاسلامية ، وأوجد الى جانبه مجلسا استشاريا من العلماء ، كما أنشأ المدارس لتحفيظ القرآن ولنشر الثقافة الاسلامية . وقد اعتبر أحمد ولوبو نفسه معبود العناية الآلهية لانتقاد المجتمع الاسلامى في غرب افريقيا من الانحراف عن الاسلام .

ومات الشيخ أحمدو في عام ١٨٤٤ وخلفه ابنه أحمدو الثانى أو أحمدو شيخو - كما كان يعرف - وقد حكم حتى عام ١٨٥٢ ثم خلفه ابنه أحمدو الثالث (أى حفيد أحمدو لوبو)

وقد استمر أحمدو الثالث قرابة العشر سنوات في ادارة شئون الدولة حتى خضعت لقوات الحاج عمر التكرورى فاتتهت بذلك دولة ماسينا التى قامت وازدهرت فى غرب افريقيا قرابة النصف قرن .

٣ - حركة الحاج عمر التكرورى :

ولد الحاج عمر فى عام ١٧٩٧ فى قرية حلوا على الحدود السنغالية الموريتانية الى الشرق من مدينة سان لويس ، وهو ينتمى الى أسرة متدينة ، وتلقى تعليمه على يد والده ، ثم قام بجولة فى عام ١٨٢٦ زار فيها عدة مدن فى غرب افريقيا - فزار فاس . ومراكش حيث تتلذذ على الشيخ أحمد السنغالى أحد شيوخ التيجانية ، وارتبط بهذه الطريقة التيجانية وسافر الى القاهرة حيث أقام بها فترة اتصل فيها باتباع الطريقة الخلواتة احدى فروع الطريقة التيجانية ثم عاد أخيرا لغرب افريقيا .

وبعد عودته التف حوله عدد كبير من تلاميذه ومريديه فكون جيشا مسلحا بالأسلحة الحديثة التى اشترها من الأوربيين الذين كانوا يفتدون بأسلحتهم لساحل افريقيا الغربية ، وبهذا الجيش استطاع الحاج عمر أن يخضع عدة مناطق من مملكة المبار ، ومنطقة سيجو وغيرها من المناطق التى كانت تابعة للشيخ أحمدو الثالث حفيد أحمدو لوبو ، واصطدم الشيخ عمر

بالفرنسيين الذين كانوا يتوغلون في غرب القارة من منطقة السنغال (١٨) .

وقد توفي الحاج عمر في عام ١٨٦٤ تاركا ابنه أحمدو الشيخ ليخلفه في حكم هذه الامبراطورية الشاسعة ، فقسم الامبراطورية الى اربعة اقسام عهد بحكم كل قسم منها لقريب من اقاربه . لكن الفرنسيين أخذوا يتوغلون في داخل القارة من الغرب خاصة بعد أن أدى مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥ الى التكالب الاستعمارية على القارة ، واصطدموا بقوات التكروري وقضوا على هذه الامبراطورية التي كانت تقف حائلا دون تقدمهم شرقا - وهكذا اتمت امبراطورية الحاج عمر .

ونلاحظ أن هذه الحركات الإصلاحية تشابهت في عدة مسائل كما اختلفت في خصائص أخرى :

١ - فقد اتحدت الحركات الثلاث في أن هدفها الأساسي كان تخليص المجتمع الاسلامي في غرب افريقيا من الشوائب ؛ فقد هال المصلحون في غرب افريقيا أن البدع والخرافات لاتزال

(١٨) عن المارك ضد الفرنسيين انظر :

Crowder, M. : West Africa Under Colonial Rule.

منشرة في هذه المناطق من القرن التاسع عشر على الرغم من دخول الاسلام هذه الجهات وانتشاره فيها من سنوات عدة *

٢ - تتقف القائمون بهذه الحركات ثقافه دينيه وتأثروا بما كان في الشرق الاسلامي ومصر بالذات من ثقافه دينيه ومن علوم ومعارف ، وقد قدر لبعضهم أن يزوروا العاهرة وأن يتصلوا بالأزهر ورجاله ، ومن يقدر له ذلك تأثر بالأزهر ورجاله تأثيرا غير مباشر * فآثر الأزهر واضح في كتاباتهم وفي مبادئهم وفي دعوتهم رغم الخلافات الهامشيه بين مبادئ الحركات الاصلاحية المتعددة *

٣ - ترتب على الحركات الثلاث نشر الدين الاسلامي ومبادئه والثقافة العربية على نطاق واسع بين القبائل والأفراد في غرب افريقيا *

٤ - كان الهدف من هذه الحركات هو اصلاح أوضاع المسلمين في هذه البلاد ونشر الاسلام بين الوثنيين بها - لكن أدت حركات الجهاد التي قادها هؤلاء المصلحون الدينيون الى الاصطدام بالسلطات الحاكمة واقامة امبراطوريات اسلامية في غرب القارة *

٥ - اصطدمت هذه الحركات بالمستعمرين الأوربيين الفرنسيين والانجليز وغيرهم الذين كانوا قد اتجهوا بعنف وشدة

خاصة بعد مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥ الى نشر نفوذهم بأسرع ما يمكن على أوسع رقعة ممكنة من القارة *

٦ - كان رواد هذه الحركات كلها من الصوفية سواء أكانوا من أتباع الطريقة القادرية أم التيجانية ، وقد ساهموا عن قصد أو غير قصد في نشر مبادئ الطريقة التي يعتنقونها في المناطق التي امتد نفوذهم إليها *

٧ - اعتمدت الحركات الثلاثة على عامة الشعب من الفلاحين والرعاة والتجار وغيرهم بينما اصطدمت بالحكام الذين رأوا في هذه الحركات وما تمثله من قوة وتجمع حول زعيم واحد ما يهدد سلطانهم ولذا ناصبوها العداء *

٨ - هذه الحركات التي أعطينا أمثلة لها في غرب أفريقيا لم تكن الا صورة من صور الصحوة التي شهدتها المشرق العربي والتي كانت تهدف لدعوة المسلمين لوقفه يراجعون فيها أوضاعهم ليحكموا على مدى ملاءمتها لما كانت عليه أوضاع المسلمين وحياتهم في فجر الاسلام فهي في الحقيقة جزء من الحركات الاصلاحية في العالم الاسلامي التي كان هدفها الأساسي محاربة البدع والعادات الضارة التي شاعت بين الناس *

٩ - من الآثار الهامة التي ترثت على هذه الحركات والتي بقيت قائمة في المجتمعات الافريقية رغم الاستعمار الأوربي

النظم التي قامت في هذه الأباطوريات الإصلاحية والتي وجهت هذه المجتمعات في مختلف انواحي الاداريه والاقتصاديه والماليه والفضائيه للسير حسب ما تمليه الشريعة والمبادئ الاسلاميه (١١) .

وفد حاول الحكام المصلحون في الامبراطوريات التي افاموها ان يقلدوا بقدر استطاعتهم النظم والاتجاهات التي كانت سائدة في البلاد الاسلاميه الاخرى ومصر على وجه الخصوص . كما استقدموا المهندسين المعماريين من البلاد الاسلاميه الاخرى لبناء القصور والمساجد والمدارس التي ألحقت بها على نسق ما كان شائعا في الشرق الاسلامي (١٢) .

١٠ - ولعل من المهم ان نشير الى اهتمام المصلحين من رواد هذه الحركات بمجالس العلم والعلماء والى الحلقات التي كانوا يعتقدونها لتبصير الناس ببداىء دينهم وشرح ما كان غامضا على العقول والأفهام .

ولعلنا نجد في ذلك صورة لما كان يحدث في أروقة الأزهر من دراسات وتعاليم وتوجيه .

(١٩) للتفاصيل عن هذه النظم يرجع الى بحث
Johnston, Marlon : Economic Foundations on an Islamic
Theocracy (Journal of African History ... X Vu, 44) 1976.

(٢٠) نعيم قدهاح : افريقيا الغربية في ظل الاسلام (دمشق ١٩٦٠)

دور الأزهر فى الكفاح الوطنى فى مصر وصدى ذلك فى باقى الأقطار الافريقية

محتويات الفصل :

- موقف الأزهر من الاحتلال الفرنسى لمصر سنة ١٧٩٨ •
- موقف الأزهر فى الفترة الى أعقت خروج الفرنسيين
من مصر •
- دور علماء الأزهر فى تولية محمد على حكم مصر
ومساندته ، وموقف محمد على منهم •
- الأزهريون وحركة التطوير الحديثة (رفاة
الطهطاوى) •
- الأزهريون والثورة العراية •
- الأزهريون وثورة ١٩١٩ •
- الأزهريون وثورة ١٩٥٢ •
- صدى ذلك فى باقى الأقطار الافريقية •

كان زعماء الأزهر هم ملاذ الشعب المصرى خاصة فى
النصف الثانى من القرن الثامن عشر - فقد كان الشعب يلوذ
بهم لرفع المظالم عنه كلما حاق به ظلم أو طغى حاكم ، وكانت
لهم من هيبتهم ومن نفوذهم ومن علمهم واحترامهم ما يؤهلهم
للقيام بهذه المهمة وما يجعل الحكام يحسبون لهم ألف حساب
ويقدرون تدخلهم لصالح الرعية •

ولا يمكن أن تتبع بأسهاب موقف الأزهر ورجاله من
الأحداث السياسية التى آلت بمصر ، فكفاح الأزهر هو تاريخ
كفاح أمة بأسرها - لكن نشير بسرعة الى بعض هذه المواقف
والى صداها فى أنحاء أخرى من القارة الافريقية •

١ - دفاع الأزهر عن حقوق الشعب المصرى :

كان للأزهر فى مختلف العهود دور طلعى فى مساندة
الكفاح القومى والدفاع عن حقوق المصريين ، فقد حدث ان وقع

ظلم من بعض رجال محمد بك الألفى على الفلاحين في بلبس
ولجأ هؤلاء الى الشيخ الشرقاوى شيخ الأزهر فعقد اجتماعا
في الأزهر واتخذ العلماء المجتمعون عدة قرارات دفاعا عن
حقوق الشعب منها :

(أ) يجب ألا تفرض ضريبة الا اذا أقرها الشعب .

(ب) أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم .

(ج) ألا تمتد يد ذى سلطان الى فرد الا بالحق والشرع .

وهذه الوثيقة أشبه ما تكون باعلان حقوق الانسان (١) .

٢ - مواقف الأزهر من الاحتلال الفرنسى لمصر سنة ١٧٩٨ :

كان بونايرت يدرك ما لعلماء الأزهر من مكانة في نفوس
الشعب المصرى ، ولذلك حاول منذ البداية التقرب اليهم
واتخاذهم وسطاء بين الفرنسيين وجماهير الشعب المصرى ،
خاصة أن نابليون ادعى منذ وطأت قدماه أرض مصر أنه يحترم
القرآن الكريم والدين الاسلامى وأن فرنسا صديقة السلطان
العثمانى وحليفة المسلمين (٢) .

(١) محمد عبد الله ماضى وآخرون : الأزهر في ١٢ عاما ص ٢١ .

(٢) انظر ما جاء بهذا الخصوص في منشوره الى المصريين الذى كتبه

وهو لا يزال يعرض البحر على ظهر البارجة أوربان .

والدليل على تقدير نابليون لعلماء الأزهر والدور الذي يمكن أن يلعبوه أنه بمجرد دخوله القاهرة في ٢٤ يوليو ١٧٩٨ أمر بإنشاء ديوان القاهرة من تسعة أعضاء كانوا جميعاً من علماء الأزهر ، وقد عهد لهذا الديوان بالادارة المحلية لمدينة القاهرة وضواحيها .

وقد أضفى بونا برت على علماء الأزهر الكثير من مظاهر الاحترام والنفوذ وكان حريصاً على ارضائهم ، فكان يهتم بشغل المناصب الدينية الكبرى كمنصب تقيب الاشراف ، كما اهتم بان تتم الاحتفالات بالأعياد الدينية كالمولد النبوي الشريف وكالاحتفال بتعيين أمير الحج وكالاحتفال بمولد الامام الحسين في مواعيدها (٣) .

وقد برز الأزهريون في المجمع العلمي الذي أنشأه الفرنسيون وفي مقدمتهم الشيخ حسن العطار الذي تعلم على يديه عدد من العلماء المصريين (٤) .

(٣) لمزيد من التفاصيل يرجع الى :

عبد العزيز محمد السنواي (دكتور) : الأزهر جامعا وجامعة ج ٢

(١٩٨٤) ص ٣٤٤ وما بعدها .

(٤) تأثر بالشيخ حسن العطار عدد كبير من العلماء لعل من أبرزهم رفاعة الطهطاوي كما سنشير فيما بعد - وعن تاريخه انظر :

صالح مجدى (بك) : كنز الجواهر في تاريخ الأزهر (القاهرة ١٣٢٠ هـ)

ص ١٣٨ .

على أن هذه المحاولات لم تجد فقد كان الأزهر مركز قيادة الثورة التي اندلعت في مصر ضد الفرنسيين ، وفي رحابه كان يجتمع الناقمون على الغزاة المعتصمين . وقد صدم نابليون لهذا الوضع الذي لم يكن يتوقعه فصب نار غضبه على الأزهر ورجاله .

فلم تمض ثلاثة شهور على دخول الفرنسيين القاهرة حتى قامت ثورة أكتوبر ١٧٩٨ . وقد بدأت شرارتها من الأزهر حيث تكونت لجنة من رجاله برئاسة الشيخ محمد السادات للاعداد للثورة .

وكانت بدايتها حين انطلق رجال الأزهر شيوخه وطلابه في الشوارع المحيطة بالأزهر يدعون الناس الى الجهاد ضد الفرنسيين ، وصعد المؤذنون الى مآذن المساجد يدعون المسلمين الى المشاركة في هذه الانتفاضة ضد أعداء الدين . وقد قدر عدد الذين احتشدوا في الجامع الأزهر وفي ساحته الخارجية بخمسة عشر ألف نائر ، وتسليح الثوار بسا وصل الى أيديهم من أسلحة . وقد قتل في هذه الثورة ديبوى الحاكم العسكرى لمنطقة القاهرة وعدد كبير من رجال كتيبته بالاضافة الى غيرهم من الجنود الفرنسيين الذين تصادف تجولهم في شوارع القاهرة بغير سلاح .

ولجأ الفرنسيون لنصب مدافعهم على مرتفعات القلعة والمقطم التي تتسلط على منطقة الأزهر وأخذت بطائرات مدفعيتهن تقصف الأزهر قصفا مركزا ومتواصلا ، كما احتلت كتائب من الجنود الطرق والدروب المؤدية الى جامع الأزهر ، وبذلك حاصرت القوات الفرنسية الثوار في الأزهر بين قذائف المدفعية وطلقات البنادق (٥) .

وقد انتقم الفرنسيون من الثوار أشد انتقام فلم يراعوا حرمة الجامع بل عدوا الى النهب والسلب فضلا على المذبحة التي ارتكبوها داخل الأزهر ، ودخل الجنود بخيولهم في المسجد وألقوا بالمصاحف والكتب على الأرض وداسوا عليها بأحذيتهم وحطسوا خزائن الطلبة وكسروا القناديل ، والأواني . ولعل وصف الجبرتي لهذه الفظائع يعطى صورة عن أعمال الانتقام هذه التي أقدم عليها الفرنسيون في الجامع الأزهر (٦) .

ولم يكتف بونايرت بالفظائع التي ارتكبت في الأزهر أثناء اخماد الثورة فأصدر في ٢٣ أكتوبر - بعد نجاح الفرنسيين في اخماد الثورة - أمر بهدم الجامع الأزهر واقامة نقطة مراقبة قوية فيه وهدم المتارس والأبواب التي تسد الشوارع المؤدية

(٥) لزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث انظر :

Rebaud, Louis et autres : Histoire Scientifique et Militaire de l'Expedition Francaise en Egypte t. IV. P. 177.

(٦) الجبرتي ج ٣ ص ٢٦ .

اليه ، وان كان أمر الهدم هذا لم ينفذ لكن صدوره من
بونابرت يدل على شعوره بالدور الذى قام به الأزهريون في
الثورة ومدى التأثير الذى لهم على المصريين (٧) .

وبعد أن خمدت الثورة ذهب أعضاء الديوان ومشايخ
الأزهر الى بونابرت لمقابلته ليلتمسوا منه الأمان والعفو عن
سكان القاهرة ويدعوه أن يأمر بإخراج الساكر من الجامع
الأزهر ليتمكن الناس من الصلاة فيه فأجابهم الى طلبهم لكنه
أبقى قوة من سبعين جنديا في منطقة الأزهر للمحافظة على
الأمن والنظام .

على أن بونابرت حث بوعده الذى قطعه لأعضاء الديوان
بالعفو التام فقد اسرف الفرنسيون - بعد أن هدأت الأمور -
في الانتقام من سكان القاهرة كما ألقوا القبض على بعض علماء
الأزهر الذين اتهموا بانهم كانوا المحرضين على الثورة واعتقلوهم
في دار البكرى ثم أعدموهم بعد ذلك ، وقد قدر الشيخ عبد الله
الشرقاوى عددهم بثلاثة عشر عالما (٨) .

ولما اشتعلت ثورة القاهرة الثانية في ٢٠ مارس ١٨٠٠ في
عهد قيادة كليبر للحملة بعد مغادرة بونابرت للبلاد طلب كليبر

(٧) الشناوى : مرجع سابق ص ٤٥٢ ، ٤٥٤ .

(٨) عبد الله الشرفاوى : تحفة الناظرين عن ولى مصر من الولاية

والسلطين (١٢٨٦ هـ - ١٨٦٦) ص ٥٥ .

من علماء الأزهر أن يكونوا سفراء بينه وبين الجماهير على أساس أن تنتهي الثورة في مقابل أن يعطى أهل القاهرة أمانا ، ولما لم يصل الطرفان الى اتفاق واستمرت الثورة قام الفرنسيون باخمادها بالقوة •

وفرض كليبر على المصريين غرامة مالية كبيرة وخص علماء الأزهر بنصيب كبير من هذه الغرامة ولم ينج من تعذر عليه دفعها منهم من التعذيب (٩) •

ولما حدث حادث اغتيال كليبر في ١٤ يونيو ١٨٠٠ وثبت أن القاتل سليمان الحلبي كان طالبا سابقا في الأزهر ، وبأنه قبل تنفيذ عملية الاغتيال كان مقيما في رواق الشام بالأزهر ثلاثين يوما - ثارت الشكوك حول علماء الأزهر وشيوخه وطلابه •

وجرت التحقيقات لمعرفة هل كان منهم من يعلم بنية القاتل • وأزاء هذه الاجراءات المستمرة والمهينة من السلطات الفرنسية قبل شيخ الأزهر ورجاله أن يعلق الأزهر منعاً لاثارة الريبة والشكوك في رجاله • وظل مغلقة حوالى العام فلم يفتح الا قبيل جلاء الفرنسيين عن مصر •

وفي الفترة التي كانت فيها أبواب الأزهر مغلقة لجأ

(٩) انظر ما ذكره الجبرتي ج ٢ ص ١٥٠ ج ٤ ص ١٩٢ عما لاقاه الشيخ محمد السادات من صنوف التعذيب •

الفرنسيون الى اعتقال شيخ الجامع الأزهر عبد الله الشرفاوى وعدد كبير من علمائه فى القلعة وقضوا فى المعتقل ما يقرب من مائة يوم (١٠) .

كما أن التحقيقات التى أجراها الفرنسيون أثبتت ان أربعة من طلبة الأزهر كان القاتل قد أفضى اليهم بعزمه على قتل القائد الفرنسى فحكم عليهم بالاعدام ونفذ الحكم فى ثلاثة منهم أما الرابع فنجح فى الهرب (١١) .

٣ - موقف الأزهر فى الفترة التى اعقبت خروج الفرنسيين من مصر :

كانت الفترة التى تلت خروج الفرنسيين من مصر فى عام ١٨٠١ حتى تولى محمد على الحكم فى عام ١٨٠٥ فترة فوضى وتطاحن بغرض الوصول للحكم بين المماليك والعثمانيين والانجليز .

وقد لعب الأزهر ورجاله دورا هاما فى هذه الفترة من تاريخ مصر - فكان علماء الأزهر يتوسطون دائما بين الحكام والمحكومين لرفع المظالم عن الشعب خاصة أن هذه الفترة

(١٠) انظر ما كتبه الشيخ عبد الله الشرفاوى عن فترة الاعتقال هذه مرجع سابق ص ٥٨ .
(١١) الجبرتى ج ٣ ص ١١٧ - ١٢٣ .

شهدت الكثير من أعمال العبث التي كان يقوم بها الجنود الذين يجلبهم العثمانيون لمحاولة تثبيت سلطانهم في مصر . وكان الشعب دائماً يلوذ بعلماء الأزهر لوقف الاعتداءات المتكررة عليه ، فبالإضافة الى اعتداءات الجنود كان الولاة العثمانيون يفرضون الضرائب الباهظة المتكررة لرفع رواتب الجند المتأخرة والتي عجزت الدولة عن دفعها - فكان الناس يلوذون بالشيخ الشرقاوى والسيد عمر مكرم نقيب الأشراف وغيرهما من العلماء لرفع الظلم عنهم .

هذا بالإضافة الى الدور الذي لعبه المالك الطامعون في استعادة ما كان لهم من نفوذ وسلطة قبل مجيء الفرنسيين لمصر .

وينشير في هذا المجال الى أن محمد على باشا استطاع وسط هذه الظروف والمعاناة التي كان يعاني منها الشعب المصرى أن يتخذ من علماء الأزهر ركيزة لتحقيق مآربه اذ أدرك بذكائه ما لهم من نفوذ لدى الشعب وكان بحاجة الى كسبهم الى صفه بعد أن تظاهر بتعاطفه مع الشعب في محنته وأنه يتألم بجنوده عما يمس مصالح المصريين المطحونين مما مهد الطريق لوصوله لحكم مصر .

٤ - دور علماء الأزهر في تولية محمد على ومساندته وموقفه منهم:
لعب علماء الأزهر دورا رئيسيا في عزل خورشيد باشا

الوالى التركى التى كثرت مظالمه للشعب ، فقد أجمع بعض علماء الأزهر وعلى رأسهم عمر مكرم على المناداة بسقوط خورشيد وتولية محمد على واليا بالنيابة الى أن يصدر السلطان العثمانى فرمان بتثبيت محمد على واليا على مصر •

ويعطينا الجبرتى صورة تفصيلية كاملة عن المراحل التى تمت فيها هذه الحركة الشعبية الى أن اضطر السلطان لاصدار فرمان بتولية محمد على (١٢) •

وهكذا نجح علماء الأزهر فى أن يقودوا الشعب المصرى ليفرض ارادته فيختار بنفسه الحاكم الذى يتولى أموره •

لقد ساند علماء الأزهر محمد على باشا اعتقادا منهم انه الشخص الذى اختاروه وانه سيعمل بارادة الشعب ويحقق مصالحه • وظهر موقف علماء الأزهر مرة أخرى من محمد على حين اتجهت نية السلطان لنقله الى ولاية سالونيك فى اليونان واصدر السلطان فرمانا بذلك (١٣) •

فقد كتب علماء الأزهر وعلى رأسهم عمر مكرم التماسا

(١٢) الجبرتى ج ٣ ص ٢٣٠ وما بعدها •

(١٣) انظر تفاسيل هذا الحادث :

محمد فؤاد شكرى (دكتور) : مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ح ٢

ص ٢٩٢ وما بعدها •

السلطان يرجون منه ابقاء محمد على في مصر ما أدى الى تراجع
الباب العائلي واصدار فرمان بتثبيت محمد على في ولاية مصر .

ولم يقف دعم ومساندة رجال الأزهر لمحمد على عند هذا
الحد - فقد حدث بعد ذلك حين تعرضت مصر سنة ١٨٠٧ لحملة
فريزر - أن دعا عمر مكرم شيوخ الأزهر وطلبته الى المشاركة
في قتال الغزاه فقاموا بحفر خندق لحماية القاهرة - وقد أدى
هذا الموقف من علماء الأزهر وطلبته الى الهاب المشاعر الدينية
لدى سكان القاهرة (١٤) .

والغريب أن محمد على بدأ يشعر بالانزعاج من نفوذ
عمر مكرم ورجاء الأزهر ومن المكانة التي أصبحت لهم في نفوس
الناس ، فلما أبدى عمر مكرم ومشايخ الأزهر رغبتهم في السفر
لرشيد للمساهمة في مواجهة الغزاة هناك استهجن محمد على
هذه الرغبة وقال لهم « ليس على رعية البلد الخروج ،
وانما عليهم المساعدة بالمال لعلائف العسكر » وكلف محمد على
عمر مكرم والمشايخ بجمع المال اللازم لمواجهة الغزاة (١٥) .

ورغم وقع هذا الموقف العجيب من محمد على تجاه
عمر مكرم ورجال الأزهر فقد ساندوه ودبروا له كل ما كان

(١٤) الجبرمي ج ٤ ص ٥٠ .

(١٥) انظر التفاسيل في :

عبد العزيز الشناوي (دكتور) : عمر مكرم (١٩٦٧) ص ١٩٢ وما بعدها .

بحاجة اليه من مال وموؤن ودواب لمقابلة البريطانيين في رشيد
والحماد لحماية القاهرة وضواحيها الى أن تم جلاء الانجليز
تماما عن الاسكندرية •

على أن محمد على استغل أمر الحملة الانجليزية ليضفي
على نفسه هالة من المجد ناسيا النصر كله لنفسه متجاهلا تماما
المصريين والدور البطولي الذي لعبوه في هذا الكفاح •

وبعد ان تخلص محمد على من أمر الحملة البريطانية
اتجه الى علماء الأزهر فقد كانوا هم يريدون أن يرجع اليهم
محمد على في تصريف شئون الحكم على أساس أنهم هم الذين
نادوا به واليا على مصر وساعدوه ليوطد مركزه فيها ، وكان قد
وعدهم باستشارتهم في المسائل الكبيرة - لكن محمد على
كان يدبر لاقصاء علماء الأزهر وفي مقدمتهم عمر مكرم عن
الحياة السياسية وعن التعرض له فيما يخص الجماهير - في
الوقت الذي كان يدفع بهم لمواجهة المشاكل الهامة التي تثير
الجماهير خاصة أن النصر الذي تحقق على الانجليز في رشيد
والحماد قد أدى لتوطيد مركزه • وقد نجح محمد على في اثاره
التنافر والتنافس على المناصب بين شيوخ الأزهر ليحقق مآربه
في التخلص من هذه الطائفة التي تريد أن تحد من سلطاته
وعلى رأسهم عمر مكرم •

ونجح محمد على بوسائله في عزل عمر مكرم من نقابة الأشراف ونفاه الى دمياط بعد أن وجد منه اصرارا على موقفه منه ، وأحل محله في نقابة الاشراف الشيخ محمد السادات . تم ذلك في اغسطس ١٨٠٩ . وقد أمضى عمر مكرم في دمياط ثلاث سنوات قبل بعدها محمد على تغيير اقامته الى طنطا حيث قضى بها منقيا سبع سنوات أخرى حتى أذن له محمد على بالعودة الى القاهرة والاقامة في داره بها ، تم السفر الى الحجاز لتأدية فريضة الحج وكان ذلك في يناير ١٨١٩ . على أنه بعد ابعاد عمر مكرم لم يجد محمد على صعوبة في تصفية بقية الزعامة الأزهرية . وأشير الى ان محمد على لجأ مرة أخرى الى نفى عمر مكرم والمشايخ بجمع المال اللازم لمواجهة الغزاة (١٥) . طاعنا في السن وذلك اثر حركة تدمر وسخط من المصريين بسبب فرض محمد على ضرائب جائرة وظن محمد على انه لا بد أن تكون لعمر مكرم يد في ذلك ، وقد اتقل عمر مكرم الى جوار ربه في نفس العام أي في عام ١٨٢٢ .

٥ - الأزهريون وحركة التطوير الحديثة :

لا بد من الإشارة ونحن بصدد الحديث عن دور الأزهر الريادي في مصر ثم انتقال هذه الأثر للدول الافريقية الأخرى - الى أن الأزهريين كانوا ضمن أول بعثات تعليمية أرسلت الى الأجنبية في عصر محمد على - فقد برزوا في

مقدمة المثقفين ، وكان لهم دور كبير فيما بعد في تطوير التعليم بالأزهر الشريف ، وفي مقدمة هؤلاء رفاة الطهطاوى • وقد جاء الى الأزهر لطلب العلم في سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٧ م) وقضى في الأزهر زهاء ثمانى سنوات وقد سافر الى باريس في يولييه سنة ١٨٢٦ وعاد الى القاهرة من باريس في أواخر سنة ١٨٣١ حيث عمل مترجما في مدرسة الطب ، وانتقل بعد ذلك الى مدرسة المدفعية (الطوبجية) وأسندت له بعد ذلك ادارة مدرسة الألسن •

وبعد الغاء مدرسة الألسن في عهد عباس أرسل رفاة للسودان لانشاء مدرسة في الخرطوم ، وقد ظل رفاة في السودان حتى نهاية عهد عباس فعاد لمصر في عام ١٨٥٤ في أوائل عهد سعيد وتوفي رفاة في غرة ربيع الثانى ١٢٩٠ هـ (٢٧ مايو ١٨٧٣) (١٦) •

٦ - الأزهر وثورة عرابى :

شهدت الفترة التى أعقبت حكم محمد على لمصر ازدياد النفوذ الأجنبى فيها فقد بدأت هجرة الأوربيين الى مصر فازداد عددهم في مصر بشكل ملحوظ وتضاعفت رؤوس الأموال الأجنبية

(١٦) من حياته انظر :

احمد احمد بدوى : رفاة الطهطاوى بك (١٩٥٠) •

المستغلة في مصر - وقد شجعت الأجانب على ذلك الامتيازات الأجنبية التي تمتعوا بها بالإضافة الى تشجيع العنكام المصريين للأجانب أفرادا وشركات على استغلال رؤوس أموالهم في مشروعات حكومية وخاصة في مصر ، ولازم ذلك القروض الأجنبية للحكومة المصرية •

وكانت مأساة هذه القروض قد بدأت في عام ١٨٦٢ في عهد سعيد فقد بلغ الدين العام عند وفاته ١١ر١٦٠ر٠٠٠ مليون جنيه وتضاعفت المشكلة في عهد اسماعيل فبلغ الدين الموحد حسب المرسوم الذي أصدره الخديو اسماعيل في ١٧ مايو ١٨٧٦ بتحويل ديون الحكومة ودين الدائرة السنية والديون السائرة الى دين واحد ٩١ر٠٠٠ر٠٠٠ مليون جنيه انجليزي (١٧) •

لكن هذه الفترة شهدت أيضا يقظة فكرية ، كما شهدت ازدهار الحركة القومية ونضجا سياسيا واضحا ، ساعد على ذلك عودة رجال البعثات التي كان قد ارسلها محمد علي للخارج من أمثال رفاعة الطهطاوي ، كما ساهم في هذه اليقظة رجال مثل جمال الدين الأفغاني (١٨) •

(١٧) قاموس جلال ج ٢ (١٩٠٠) ص ١٢٢ •

(١٨) جاء جمال الدين الافغاني الى مصر لأول مرة عام ١٨٧٠ وتردد على الأزهر واتصل به كثير من الطلبة واقبلوا عليه يتلقون بمض العلوم وسافر الى الاستانة وعاد لمر عام ١٨٧١ وشجعه الخديوي اسماعيل على الإقامة بها

ومن تلاميذ جمال الدين الأفغانى الذين لعبوا دورا كبيرا فى اذكاء روح الثورة ضد الاستعمار والطغيان - الشيخ محمد عبده وقد تلقى تعليمه فى الجامع الأزهر فحصل على شهادة العالمية فى سنة ١٨٧٧ وتلمذ على يد الأفغانى وأخذ عنه الكثير من العلوم ، وقد عمل محررا فى الوقائع المصرية ثم أصبح رئيسا للتحرير فحاول أن يستغل وضعه هذا للنهوض بمصر فى جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ولما قامت الثورة العرابية أصبح من رجالها المدافعين عن مبادئها المناهضين للخديو توفيق ، والتدخل الأجنبى فى شئون مصر ، وعندما انتهت الثورة حوكم مع زعمائها وصدر الحكم بنفيه خارج مصر ، وكان فى بيروت حين استدعاء أستاذه

وكان مسكنه مكانا يجتمع فيه مع تلاميذه ومريديه فأخذ ينبئ تعاليمه فى نفوس تلاميذه وكان له اثر بالغ فى نهضة العلوم والآداب بل كان له اثره الأخلاقى والسياسى . وكان من أصدقائه مخضوم باشا البارودى ، والشيخ محمد عبده ، وعبد الله النديم . وبعد أن تولى نوبق الحكم وانتشار روح الثورة والدعوة الى الحرية والمطالبة بالدستور فى مصر اتهم جمال الدين الأفغانى بالتحريض على الثورة فنفى من مصر وسافر الى باريس حيث لقي تلميذه الشيخ محمد عبده وهناك أصدر جريدة العروة الوثقى للدعوة للامم الإسلامية الى الانحد والتضامن والأخذ بأسباب الحياة والحصارة وانتهى به الامر بلهابة الى الاستانة والاقامة بها حيث توفى فى ٩ مارس سنة ١٨٩٧ .

وانر جمال الدين الأفغانى فى دفع الأزهر ورجاله الى مسابرة السلور الحضارى الحديث - بل اثره فى ايقاظ روح المقاومة لدى المصريين ضد اتدخل الاجنبى - لا يمكن أن ينكر .

جمال الدين الأفغانى الى باريس وهناك أصدرنا فى عام ١٨٨٤ جريدة العروة الوثقى • وقد عاد الى مصر فى عام ١٨٨٩ حيث عين عضوا فى مجلس الأزهر فعكف على تطوير التعليم فيه فقد رأى ان الإصلاح الدينى والاجتماعى يمهدان للإصلاح السياسى، وقد واثته الفرصة للإسهام فى الإصلاح المنشود حين عين فى عام ١٨٩٩ مفتيا للديار المصرية وعضوا فى مجلس الأوقاف الأعلى وفى مجلس شورى القوانين •

ومن تلاميذ الأفغانى الذين لعبوا دورا هاما فى تاريخ مصر أيضا - عبد الله النديم الذى لقب بخطيب الثورة العرابية • ولد بالاسكندرية فى عام ١٨٤٥ وتلقى تعليمه بها ، وانتقل الى القاهرة حيث عمل ناظرا لمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية • لكنه استقال فى عام ١٨٨١ حيث أصدر صحيفة التنكيت والتبكيث وكان يعالج فيها الموضوعات الاجتماعية والسياسية بأسلوب ظاهره الهزل • ولما بدأت الحركة العرابية آمن بها وأصبح خطيبها والداعى لها - وبعد اضطهاد الثورة اختفى عن الأنظار وظل كذلك تسع سنوات تكن قبض عليه بعد ذلك وحوكم ونفى الى يافا ، وقد عفا عنه عباس الثانى فعاد لمصر حيث أنشأ مجلة الأستاذ سنة ١٨٩٢ لكنه أجبر على الرحيل عن مصر مرة أخرى فى عام ١٨٩٤ وقد اضطر لقضاء بقية حياته فى الأستانة حيث توفى بها فى ١١ أكتوبر سنة ١٨٩٦ •

لقد كان للأوضاع التي تردت اليها مصر نتيجة التدخل الأجنبي والحكم الفردي المستبد أثرها في الأحداث التي أدت للثورة العرابية - لكن لاشك في أن اليقظة الفكرية والنضج السياسي وشحن أفكار الشعب بالمبادئ التي تناهض الحكم المطلق - هي التي دفعت المصريين للمطالبة بحقوقهم الطبيعية في حكم بلادهم ورفضهم أن يكونوا ترانا أو عقارا يورث . ودور الأزهر ورجاله في ذلك واضح وبارز ، ونحن لانريد أن نصل الى مجازاة الذين يحاولون أن يجدوا أوجه شبه بين دور المفكرين من أمثال فولتير ، ومنتسكيو ، وجان جاك روسو - وبين دور المفكرين والعلماء الأزهريين - في اعداد الشعب المصرى للثورة التي كان على رأسها أحمد عرابى وزملاؤه - لكن لاشك في أن هؤلاء كان لهم دورهم في الدعوة الى سيادة الأمة مصدر السلطات ومحاربة الفساد الذى كان مستشرياً في كافة نواحي الحياة في مصر ، ولا تنسى ان قائد الثورة العرابية أحمد عرابى كان ممن تلقوا علومهم بالأزهر .

وعندما أرسلت بريطانيا وفرنسا المذكرة المشتركة الأولى في يناير ١٨٨٢ تعرب الدولتان فيها عن تأييدهما التام لموقف الخديو من معارضته للحركة الوطنية ورغبته في حل مجلس النواب وأعقب ذلك صدور المذكرة المشتركة الثانية في ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ تطالب فيها الدولتان باقالة وزارة البارودى وتفى

عرايى خارج البلاد وابعاد زملائه عن مدينة القاهرة — وكان علماء الأزهر فى مقدمة المستنكرين لهذا التدخل الأجنبى فى شئون البلاد واجتمع الشيخ محمد عبده وبعض العلماء ووضعوا قسم الثورة الذى تعهد فيه الوطنيون بالذود عن البلاد ومواجهة التدخل الأجنبى، والاحتلال وصنيعه الخديو توفيق .

ولما وضح انحياز الخديو توفيق الى جانب الانجليز الذين دبروا مذبحة الاسكندرية فى ٢١ يونيه سنة ١٨٨٢ واتخذوا منها ركيزة لضرب الاسكندرية فى ١١ يوليه فأصدر أمرا فى ٢٠ يوليه سنة ١٨٨٢ بعزل أحمد عرايى — اجتمع علماء الأزهر وأصدروا فتوى بمرور الخديو توفيق عن الدين لانحيازه الى أعداء البلاد ، وقرر المجتمعون عزل توفيق وعدم شرعية ما يصدره من أوامر وتكليف عرايى بالدفاع عن البلاد ، وقد وقع عدد كبير من كبار علماء الأزهر على هذا القرار .

وكان علماء الأزهر دعاة للثورة فى المساجد ، ولما فشلت الثورة العرابية وقبض على زعمائها كان عدد من علماء الأزهر ممن قدموا للمحاكمة وصدرت ضد بعضهم أحكام بالتجريد من الرتب والمناصب ومصادرة الأملاك (١٩) .

(١٩) الأزهر فى ١٢ عاما مرجع سابق ص ٢٤ .

٧ - الأزهر وثورة ١٩١٩ :

رأينا كيف ان جمال الدين الأفغانى وتلاميذه من بعده قد لعبوا دورا حاسما فى بعث روح التجديد فى الفكر الاسلامى فى مصر خاصة والعالم الاسلامى عامة .

ولما اندلع لهيب الثورة فى مصر سنة ١٩١٩ كان الأزهر المركز الذى تنطلق منه الجموع وتعود اليه لتمتلىء بالحماس ثم تنطلق من جديد لتبعث فى الجماهير روح المقاومة والشعور بالعزة الوطنية وتبعث فيهم الرغبة فى التضحية والفداء فى سبيل الوطن .

وكان منبر الأزهر مقصد الخطباء من مسلمين ومسيحيين كما اعتلته المرأة المصرية تؤجج بصوتها نيران الثورة وتوغر الصدور على المعتصمين ، وكان طلاب الأزهر هم الوقود الذى زاد لهب الثورة اشتعالا ، وقد برز فى هذه الثورة الشيخ الغياتى أول شهيد من علساء الأزهر ، والشيخ أبو العيون والشيخ الزنكلونى والشيخ عبد الباقي سرور وغيرهم من شيوخ الأزهر وطلابه (٢٠) .

كذلك كان صحن الجامع الأزهر المكان الآمن لاجتماع الثائرين من أبناء مصر لاتخاذ القرارات الحاسمة لمواجهة

(٢٠) نفس المرجع السابق ص ٢٥ .

المواقف المتعنتة من الدول المحتلة ، وكان طلبته يمثلون أخطر العناصر التي اشتركت في الثورة ، وقد أدركت بريطانيا ذلك واضطرت ازاء قوة الثورة وضراوتها لاصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وان كانت مصر حصلت بمقتضاه على استقلال مبتور - لكنه كان خطوة في طريق الاستقلال الكامل الحقيقي .

٨ - الأزهر وثورة ١٩٥٢ :

لم تحقق ثورة ١٩١٩ أهدافها كما رأينا ولذا كان لا بد أن يستمر النضال الوطني ضد المحتل الذي غير من أسلوبه الاستعماري ليمشى مع تطور الحركة الوطنية في البلاد ، فمرت العلاقات بين مصر وبريطانيا بمراحل مختلفة اتسمت أحيانا بالعنف والتوتر وأحيانا أخرى بالهدوء ، وأسفرت أخيرا عن معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وعن الغاء المحاكم المختلطة في مصر - لكن أدرك المصريون بعد ذلك أن كل هذه المراحل لا تخرج عن كونها مسكنات وأنها لا تحقق الأحلام الوطنية ، ولذا فقد أعلنت مصر من جانبها في ٨ أكتوبر عام ١٩٥١ الغاء معاهدة ١٩٣٦ وتبعت ذلك الأحداث التي أدت لقيام ثورة ١٩٥٢ .

ومع أن هذه الثورة قام بها الجيش لكن لاشك في أن نجاح الثورة كان قائما على تحالف وتأييد قوى الشعب المختلفة وفي المقدمة المثقفون من رجال الأزهر وغيرهم ، فقد كان لهؤلاء دورهم الهام في ايقاظ الوعي السياسي والاجتماعي في مصر .

ولذلك فقد حرصت الثورة من جانبها على دعم الأزهر
والتمكن له وتوفير كل السبل له ليقوم برسالته على خير وجه ،
كما عملت على تزويد طلابه بالعلوم والمعارف الحديثة بالإضافة
الى دراستهم الدينية والعربية لتتاح لهم فرص المشاركة الفعلة
في مختلف ميادين النشاط والانتاج ، ولأجل ذلك صدر القانون
رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الذى سبقت الاشارة اليه . وقد استهدفت
الثورة بهذا القانون تمكين الأزهر من أداء رسالته على خير وجه
بحيث يصبح الهيئة الاسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ
التراث الإسلامى وتعمل على نشره ونشر اللغة العربية بين
مختلف الشعوب .

ولتحقيق هذه الأهداف فتحت الأبواب لاعداد غفيرة من
الوافدين من الأقطار الاسلامية للدراسة في رحاب الأزهر ووفرت
لهم وسائل الاقامة وذلك كافة العقبات ، فتوافدت أعداد
من مختلف الدول الافريقية من شمال القارة وغربها وشرقها
للتزود بالثقافة الاسلامية حتى يسودوا الى بلادهم للمشاركة في
كل مجالات الحياة ، وفى ظل القانون الجديد تعددت كليات الأزهر
المتخصصة فى مجالات العلم والمعرفة من طب ، وزراعة ،
وصناعة ، وهندسة .

هذا بالإضافة الى البعوث الأزهرية الى مختلف البلاد
الافريقية لنشر مبادئه وتعاليمه . وقد حرص الأزهر فى وضعه

الجديد أيضا على عقد المؤتمرات العلمية والدينية ودعوة العلماء
والمهتمين من مختلف الأقطار الافريقية وغيرها للحضور والمشاركة
في بحث مختلف القضايا التي تهتم العالم الاسلامي .

وقد تضاعفت ميزانية الأزهر بعد ثورة ١٩٥٢ كما أنشئت
عدة معاهد دينية في مختلف أنحاء مصر ، وأدخلت دراسة اللغات
الأجنبية وطلورت المناهج الدراسية بل شمل التطور الأجهزة
الفنية التي تشرف على هذه الأنشطة (٢١) .

صدي ذلك في باقي الأقطار الافريقية :

لقد كان للأزهر كما رأينا دور واضح في الكفاح الوطني
في مصر وقد انتقل صدي هذا النشاط الذي قام به رجال الأزهر
الى أقطار متعددة في القارة الافريقية .

والحركات الوطنية في هذه الأقطار في شمال القارة وغربها
وشرقها كان على رأسها قادة ورواد اتصلوا بالأزهر بطريقة
أو أخرى - نلمس هذا سواء في الحركات التي هبت لمحاربة
الاستعمار كالتنوسية في ليبيا والمهدية في السودان أم الحركات
الاصلاحية التي قامت في غرب القارة وقد أشرنا لبعضها من قبل

(٢١) لزويد من التفاصيل يرجع الى :

الباب الثاني من كتاب الأزهر في ١٢ عاما بعنوان الانشطة في الأزهر في

ظل الثورة ص ٩٧ وما بعدها ، وانظر قانون التطوير ص ١٠٢ وما بعدها .

كحركة الشيخ عثمان بن فودي وحركة جهاد الشيخ أحمدو لوبو
وحركة جهاد الحاج عمر التكروري •

وتتفق هذه الحركات في اعتبارها الكفاح ضد المستعمر
ضرباً من الجهاد ، كما تتفق حركات الإصلاح في اعتناقها الطرق
الصوفية التي لعبت دوراً هاماً في نشر الإسلام والثقافة العربية
في تلك المناطق بغرب أفريقيا حيث وجدت هذه الطرق نفسها
أمام شعوب وقبائل لم تدخل الإسلام عن اقتناع أو أمام شعوب
تعرف الإسلام اسماً ، ومن ثم كان عملها الأساسي هو نشر
العقيدة الإسلامية على نطاق واسع بين هذه الشعوب ، وبرز
الفقهاء والعلماء سواء من الذين تثقفوا بالثقافات الإسلامية
والعربية ودرسوا وتعمقوا في الدين ثم انتقلوا إلى هذه البلاد
أم من أبناء البلاد ذاتها ، وكانت هذه الطرق الصوفية رغم
اختلاف وسيلة عملها تسعى إلى غاية واحدة هي الوصول
بالنفس الإنسانية إلى درجة الكمال ، وكان التعليم الصوفي
هو أحد الوسائل لتحقيق هذه الغاية المثلى (٣٢) •

كما اتفقت هذه الحركات الإصلاحية في ضرورة العمل على
سيادة المبادئ الحقيقية والتعاليم السابقة للإسلام والقضاء
على البدع والخرافات التي تمس جوهر الدين ومبادئه •

(٢٢) حسن أحمد محمود : مرجع سابق ص ٦٥ •

وقد نجحت هذه الحركات الوطنية والاصلاحية نجاحا منقطع النظير في التصدي للمستعمرين رغم اسلحتهم الحديثة ، كما نجحت الحركات الاصلاحية في القضاء على تسلط الحكام المحليين وأقامت مجتمعات اسلامية تضم طبقة من العلماء ورجال الدين حاولوا تشكيل المجتمع على أسس سليمة والقضاء على العادات والتقاليد الوثنية •

دور الأزهر في نشر الثقافة والحضارة العربية في أفريقيا

محتويات الفصل :

- اللغة العربية والدين الاسلامي ركنان مرتبطان بالأزهر •
- الأزهر حامى الدين واللغة حتى في وسط المحن التي ألمت بالعالم العربي •
- البعثات العلمية لأوروبا وحركة التجديد في الأزهر •
- الاستعمار يحارب العربية باعتبارها ترتبط بالناحية القومية :
- (أمثلة على ذلك مما أصاب اللغة العربية في البلاد التي نكبت بالاستعمار الفرنسي في شمال افريقيا) •
- الوضع بعد الاستقلال وما يحتمه من مضاعفة الجهد لاصلاح ما أفسده الاستعمار •

لم تقتصر رسالة الأزهر على الناحية الروحية والوطنية
فحسب بل كان له فضل كبير على اللغة العربية •

فحفظ القرآن وفهم آياته ومعانيه تطلب معرفة اللغة العربية
واتقانها فلغة القرآن جزء من حقيقة الاسلام ، ولذلك سارعت
الشعوب التي دخلت في الاسلام الى تعلم العربية والتكلم بها
والتأليف فيها والتعصب لها والدفاع عنها والدعوة اليها ، فاللغة
العربية والدين الاسلامي ركنان مرتبطان بالأزهر وهو حامي
العقيدة وناشر الدعوة ولا يمكن أن يقوم برسالته الا بتدعيمه
للغة العربية ونشرها •

ولذا فقد كان اهتمامه بعلوم القرآن وعلوم اللسان ، وعلى
الرغم من قيام طائفة من المدارس والجوامع في القاهرة ودمشق
والقيروان والزيتونة وغيرها بالاهتمام بالعلوم الشرعية والأدبية
فان هذه المدارس لم تسطع أن تتناول الأزهر فضله الخالد على

اللغة العربية في بقائه لسانا للعلم ورباطا للمسلمين في مختلف
الأقطار التي انتشر فيها الاسلام (١) .

فالأزهر بحكم نشأته وبيئته وموقعه الوسط بين الشرقين
الأدنى والأوسط كان ملتقى المسلمين من هنا وهناك ، وموقعه
في القاهرة العاصمة الافريقية ذات الموضع الفريد ، وفي طريق
الحجاج والرحالة من علماء أفريقيا - كان له دوره الفعال في
الحفاظ على اللغة العربية بل ونشرها وتعليم أصولها وقواعدها .

ورغم المحن التي ألمت بالعالم العربي نتيجة الغزو المغولي
في منتصف القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) والغزو
التركي في أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) -
فان الأزهر ظل ملاذا للغة العربية ، ثم تجلت ريادته للحركات
الوطنية في مصر والأقطار الأخرى المناضلة في سبيل حقها في
الحياة الكريمة ، وكان من أبنائه أعضاء في البعثات التي أرسلت
للخارج والتي عادت لتسهم في حركة التجديد في الأزهر .

وقد أدرك القائمون على الأمر أهمية تطوير المناهج
والدراسة بالأزهر وتنويعها بحيث يستطيع الراغبون في التخصص

(١) أحمد حسن الزيات : كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية (نشر
في الكتاب الذاكرة بمناسبة احتفالات العيد الالفي للأزهر - القاهرة ١٤٠٣ هـ
١٩٨٢ ص ١١١ وما بعدها) .

في مختلف فروع العلم من أبناء مصر والدول العربية والافريقية
أن يجدوا في ربوع الأزهر ضالتهم فيدرسون بالعربية ما يهيم
من هذه العلوم مع الأخذ بالجديد في كل فروع التخصص .

ولقد أدركت الدول الاستعمارية دور اللغة في دعم الروح
القومية ولذا عمدت الى محاربة اللغة القومية واطعاف شأنها
ونشر لغتها هي بين الشعوب المغلوبة . نهجت فرنسا هذا النهج
في البلاد العربية التي خضعت لها في شمال افريقيا ، كما سارت
على نفس الأسلوب في البلاد التي خضعت لها بغرب القارة
فعمدت الى نشر اللغة الفرنسية وأدائها على حساب اللغات
القومية - لكن في وسط هذا الظلام كان الأزهر ورجاله
القبس الذي ينير الطريق فظهر رجال الأزهر حماة الدين واللغة
العربية وظهر دور رجال الأزهر على وجه الخصوص بعد أن
حصلت هذه البلاد على استقلالها وتخلصت من نير الاستعمار
فكان دور الأزهرين في نشر اللغة العربية والمساهمة في استعادة
الدول العربية والافريقية لوجهها الوطني دورا بارزا واضحا
وملموسا .

ان دور الأزهر في نشر اللغة العربية وفي تدعيم الدراسات
الاسلامية في القارة الافريقية لا يقل بأى شكل من الأشكال
أهمية عن دوره الأساسي في نشر التعليم والمعرفة في مصر ذاتها .

فالتأثر الحقيقي للأزهر في خارج حدود مصر هو امتداد طبيعي للدور الأصلي داخل حدود مصر والوطن العربي . فالطلاب الأفارقة الذين يدرسون في الأزهر يعودون الى بلادهم بعد حصولهم على قدر كبير من التعاليم والمعارف الاسلامية ويتشربون اللغة العربية فيقومون بنشر هذه المعارف في بلادهم في المدارس وفي المساجد وفي الجامعات وفي مواقع العمل المختلفة التي يشغلونها ، وكثير من هؤلاء الطلاب الوافدين الى الأزهر يكون لهم شأن كبير في بلادهم عند عودتهم اليها حيث يتولون فيها قيادات سياسية وتعليمية وغيرها من الخدمات الاجتماعية المتعلقة بشئون بلادهم فيتفوقون فيها ويكون لهم تأثير كبير في المواقع التي يشغلونها ولاشك في أنهم يعتبرون لسان الأزهر المعبر في تلك البلاد وصورته المشرقة وصوته المدوي بتعاليم الاسلام وبمبادئ وأصول اللغة العربية .

وبالإضافة الى ذلك كانت هذه الوفود الطلابية تعمل على توثيق الصلات بين الأزهر وبين سائر الأمم الافريقية التي وفدوا منها ، فهم حلقة الوصل وفي نفس الوقت لهم دورهم في نشر الدين الاسلامي وفي نشر اللغة العربية بين أبناء وطنهم .

وإذا وضعنا في الاعتبار أن معظم هذه الدول الافريقية باستثناء دول الشمال الافريقي دول تتعدد فيها اللغات واللهجات

وكثير منها لغات غير مكتوبة ، كما أن اختلاف اللغات واللهجات يجعلها في حاجة للغة واحدة لغة التفاهم التي يعرفها الكل ويتخاطبون بها - يمكن أن ندرك الدور الذي يمكن أن تلعبه اللغة العربية في الربط بين هذه الدول والشعوب وفي توثيق الصلات بينها ، وفي ايجاد مبادئ سامية واحدة وأهداف مشتركة يمكن أن تسعى اليها هذه الشعوب •

ودور الأزهر لا يقف عند حفظ الثقافة العربية وحمايتها من التيارات التي تعرضت لها في مختلف العصور - بل انه يتعدى ذلك الى العمل على نشر هذه اللغة وتوسيع نطاقها ومضاعفة اعداد المتحدثين بها •

ولقد تأثرت المجتمعات التي عرف أفرادها اللغة العربية - بأداب هذه اللغة وبمعانيها وبألفاظها وتراكيبها وقواعدها وظهر ذلك جليا في أكثر من مجال •

ظهر مثلا في اللغة السواحلية التي انتشرت في شرق القارة وقد دخلتها عدة ألفاظ عربية ، فالتأثيرات العربية في اللغة السواحلية واضحة كل الوضوح •

ولا يقتصر الأمر على هذه التأثيرات - لكن الأثر الثقافي والاجتماعي والحضارى العرب في شرق افريقيا واضح ، وقد اشار الى ذلك الرحالة الأجانب الذين جاءوا لأول مرة الى هذه

المناطق في القرن الخامس عشر ونوهوا بما كانت عليه من حضارة ورقى - فقد لمسوا فيها كما يقول كوبلاند (Coupland)

مجتمعا متحضرا لا يقل عن المجتمع الأوربي في ذلك الوقت في حضارته •

ويعلق كوبلاند على هذا بقوله « انه يجب ألا ندهش لما يذكره هؤلاء الرحالة عن مظاهر الحضارة التي نقابها العرب الى شرق افريقيا - فان العرب كانوا في ذلك الوقت حملة لواء الحضارة ، فلاشك في أن مدارس بغداد ، والقاهرة وتونس - كانت في القرن الثالث عشر تفوق تلك التي في أكسفورد أو التي في أية مدينة مسيحية أخرى » (٢) •

وقد دهش ابن بطوطة الذي زار عدة مدن في شرق افريقيا في سنة ١٣٣٣ م مما كانت عليه هذه المدن من تنظيم ومن حالة الرخاء بها ، وذكر انه شاهد في كل مدينة زارها من مدن الساحل الافريقي الشرقي مسجدا مزينا بالنقوش وملحقا به مدرسة يتعلم فيها الصبيان ، ولمس بنفسه أن العرب الذين استقر بهم

Coupland, R. : East Africa & its Invaders (London (٢)
1968) P. 39.

المقام فى شرق القارة نقلوا معهم تقاليدهم وعاداتهم فلم ينسروا
ما اشتهروا به من كرم الضيافة وغيرها (٣) .

وفى غرب افريقيا ارتبطت المدارس بالنواحي الدينية - ففى
أول الأمر كانت المدارس ملحقة بالمساجد حيث يوجد بكل مسجد
غرفة أو غرفتان لتعليم الأولاد ، وقد قلد الافريقيون هذا النوع
من المدارس وصارت الزوايا الخاصة بالفرق المذهبية والدينية
مدارس لتعليم الأطفال ، واشتهرت بعض المساجد بمدارسها التى
صارت منارة يشع منها العلم والمعرفة ، واشتهرت فى هذا
المجال مدن مثل كانو ، وسوكوتو - وكانت الدروس فيها تلقى
طوال اليوم ولاتنقطع الا وقت الصلاة ، كما كان بعض الأساتذة
يدرسون بالليل على نور الحطب المشتعل الذى تبرع به
الطلاب (٤) .

ولقد أصبح الدين الاسلامى فى غرب افريقيا دينا وثقافة
وفكرا لأنه ارتبط بتعليم العربية حتى يمكن فهم القرآن الكريم .

والحقيقة ان دور رجال الأزهر وتلاميذه فى نشر اللغة

(٣) مهذب رحلة ابن بطوطة : مهذب أحمد العوامرى بك ، ومحمد جاد
المولى (مطبعة بولاق) ص ٢٠٠ وما بعدها .

(٤) نعيم قداح : حضارة الاسلام وحضارة أوروبا فى الفريضة الغربية
(١٩٧٤) ص ١٥٦ .

العربية في هذه البلاد بغرب افريقيا دور واضح سواء في المدارس
القرآنية أم في المعاهد الأخرى •

وقد ذاع صيت عدد من المعاهد وأصبحت مراكز يؤمها
طلاب العلم ، وكانت الصلات بين هذه المعاهد والأزهر الشريف
على مر العصور ، مستمرة وألحقت بالمعاهد مكتبات زودت بكثير
من المؤلفات التي اهتم الحكام بشرائها من مصر والمغرب وغيرها
من البلاد الاسلامية (٥) •

ولقد ازدهرت وأثمرت الحضارة العربية في غرب افريقيا ،
ولعل ما تزخر به اليوم دور الوثائق والمكتبات في نيجيريا وغيرها
من دول غرب افريقيا من مخطوطات ومن كتب ومن مراجع
عربية تعطي فكرة عن المجتمعات في غرب افريقيا ، والكثير من
هذه الثروة اللغوية والدينية والأدبية لم تلق عليه الأضواء
الكافية بعد مع أنها بلاشك تعتبر جزءا من التراث الحضارى
العربى الذى نعتز به (٦) •

(٥) لمزيد من التفاصيل عن التعليم والثقافة في غرب افريقيا يرجع الى
عبد الله ميد الرازق (دكتور) مرجع سابق س ٢٠٠ وما بعدها .
(٦) انظر عبد الرحمن زكى (دكتور) : المراجع العربية للتاريخ الاسلامى
في غرب افريقيا (محاضرة القايت بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية - في
٢٠ نوفمبر ١٩٦٧ وطبعت في مجلة الجمعية) .

وإذا كان الاستعمار عامة والاستعمار الفرنسى بصفة خاصة
قد حرص على فرض ثقافة المستعمر ولغته وتقاليده ونظمه
الاجتماعية والسياسية على الافريقيين وترتب على هذا اضعاف
اللغات القومية والقاء ظلال باهتة على الماضى الحضارى للدول
الافريقية - فان الواجب اليوم يحتم أن تبذل جهود مضاعفة
لاصلاح هذه الأوضاع *

ولعل هذا يضع على عاتق الأزهر الشريف ورجاله مسئولية
أكبر فى مد يد العون لهذه الدول الافريقية فى شمال القارة
وشرقها وغربها لتعيد مجدها الحضارى وتواصل اتصالها بالثقافة
العربية باعتبارها على الأقل أحد الروافد الهامة التى أسهمت فى
تشكيل الحضارة فى هذه الأقطار *

خاتمة

لقد عرضنا صورة لتطور الأزهر والدور الذى لعبه على مر العصور فى نشر الدين الاسلامى واللغة العربية ليس فى مصر فحسب لكن أيضا فى القارة الافريقية ، وكيف احتضن الأزهر فى أرواقته وحول أعمدته ، ثم فى حجرات الدرس وفى معامل البحث والتجريب بعد تطوير وتحديث الدراسة به - عشرات بل مئات من أبناء الدول الافريقية ، وكيف كان هؤلاء الدارسون رسل علم وحضارة عند عودتهم لبلادهم ، بل لمسنا كيف انتقل رجال الأزهر وبعض علمائه الى البلاد الافريقية وتحملوا المشقات والمتاعب لينقلوا الى هذه البلاد التى رحلوا اليها قبسا من النور وليكونوا حيث حلوا شموعا تحترق لتضىء الآخرين *

ولم تقتصر رسالة الأزهر كما رأينا على العلم والتعليم بالمعنى الحرفى الضيق ، فقد امتد دور الأزهر ورجاله وأثرهم فتقدموا الصفوف فى مواجهة الاستعمار وكانوا ملاذ الشعب حين يقع عليه ظلم أو يتحكم فيه حاكم مستبد ، ولا غرو فقد

كان رجال الأزهر يمثلون الصنفوة المثقفة التي تلهب الشعور بالظلم عند الجماهير ويعمل لها الحكام كل حساب *

وكان طبيعيا الا يقتصر أثر الأزهر هذا ودوره في الكفاح الوطني على مصر فقد ترددت أصداء هذا الكفاح وانتقلت الى شعوب القارة الأخرى في الغرب والشرق والشمال فهب المثقفون فيها ممن تعلموا في الأزهر أو تأثروا بتعليمه في وجه المستعمرين . وكانوا قادة لشعوبهم في حركات المقاومة الوطنية ، كما كانوا بعد طرد المستمر الجنود الذين تكفلوا باعادة البناء واصلاح ما هدمه الاستعمار من تقاليد ومثل ومبادئ حضارية وأسس دينية وقومية *

وإذا كان هذا دور الأزهر في الماضي والحاضر فلاشك في أن الآمال المعقودة عليه في المستقبل أضخم وأكبر *

ملاحق

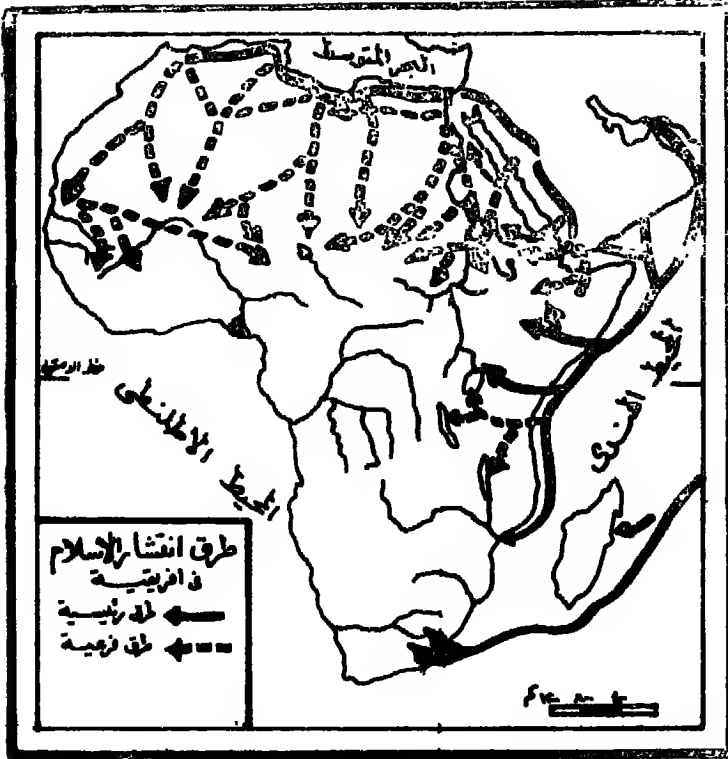
نسب المسلمين في القارة الافريقية الى عدد السكان

النسبة المئوية	الدولة
٪٩٩٥	١ - موريتانيا
٪٧٦٥	٢ - السنغال
٪٥٦	٣ - جامبيا
٪٥٦	٤ - مالي
٪٧٩	٥ - غينيا
٪٣٥	٦ - غانا
٪١٩	٧ - فولتا العليا (بوركينا فاسو)
٪٧٥	٨ - بنين
٪٤٤	٩ - نيجيريا
٪٧٨	١٠ - النيجر
٪١٩	١١ - ساحل العاج
٪٧	١٢ - توجو

١٣ - الكونغو برازافيل	٧٪
١٤ - جمهورية افريقيا الوسطى	٣٪
١٥ - الجابون	١٣٪
١٦ - تشاد	٥٠٪
١٧ - الكاميرون	١٧ر٥٪
١٨ - مالاچاش	٤ر٤٪
١٩ - كومورو	٩٥٪
٢٠ - السودان	٧٠٪
٢١ - اثيوبيا	٣٣ر٧٪
٢٢ - ارتريا	٥٠٪
٢٣ - الصومال	١٠٠٪
٢٤ - كينيا	١٠٪
٢٥ - اوغندا	٥ر٤٪
٢٦ - تنزانيا (تنجانيقا)	٢٧٪
٢٧ - زنجبار	٩٨٪
٢٨ - مالاوى	١٠ر٦٪
٢٩ - زامبيا	٥ر٥٪
٣٠ - روديسيا الجنوبية	١ر١٪
٣١ - انجولا	صفر

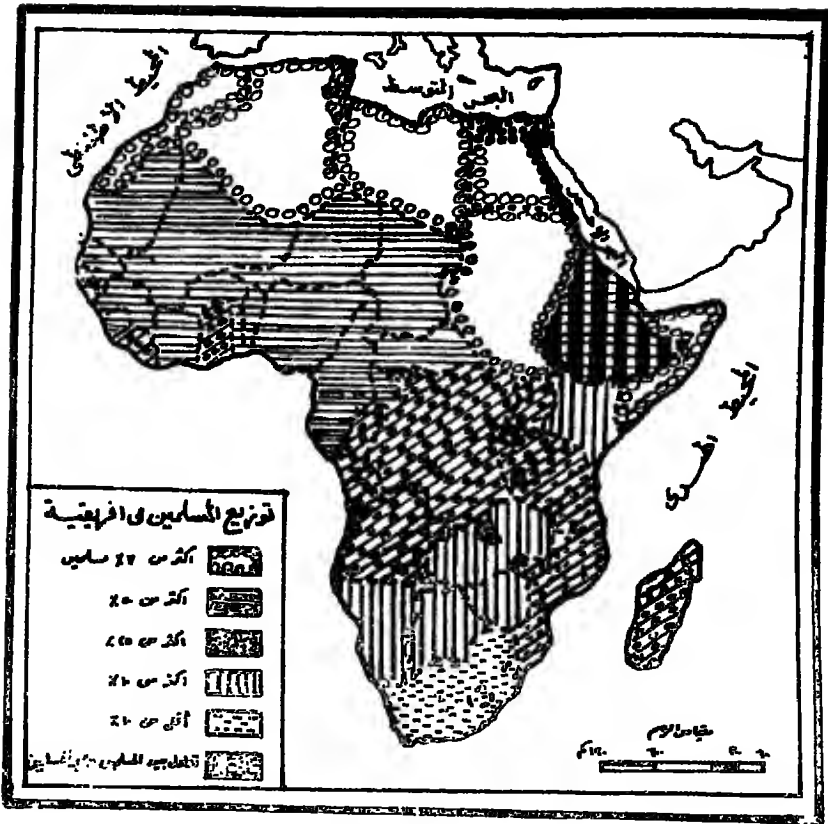
٢٤٥٪	٣٢ - موزمبيق
صفر	٣٣ - بتشواتلاند
صفر	٣٤ - سوازی لاند
٢٢٪	٢٥ - اتحاد افريقيا الجنوبية
٦٨٨٪	٣٦ - سيراليون
٦٣٣٪	٣٧ - مصر

مراشيط



شكل (١)

عن عبد العزيز كامل (دكتور) : جغرافية الاسلام في افريقيا



شكل (٢)

بتصرف - عن عبد العزيز كامل (دكتور) : جغرافية الاسلام في افريقيا

مكتبة البحث

أولا - مصادر أصلية :

- ١ - ابن خلدون : المبتدأ والخبر ج ٥ ، المقدمة .
- ٢ - اللائحة التنظيمية لطلبة مدينة ناصر للبعوث الإسلامية (١٩٦٧) .
- ٣ - البلاذرى : فتوح البلدان (القاهرة ١٣١٨ هـ) .
- ٤ - لائحة الطلاب الوافدين ادارة البعوث الإسلامية بالأزهر (١٩٦٨) .
- ٥ - الأزهر الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية .
- ٦ - شروط الراغبين فى الانبعاث للخارج (١٩٧٠) .
- ٧ - الأزهر ادارة البعوث الإسلامية - بيانات عن اعداد المبعوثين فى عدة أعوام متتالية (١٩٧١ - ١٩٨٦) .
- ٨ - الأزهر ، التقويم العلمى لمجمع البحوث الإسلامية منذ انشائه (١٩٧١) .

- ٦ - الأزهر ، النظم التعليمية في المعاهد الأزهرية في ظل القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦٤ .
- ١٠ - الأزهر ، المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية (١٩٦٤) .
- ١١ - الأزهر تقويم جامعة الأزهر (١٩٦٤) .
- ١٢ - الأزهر ، تقرير لبعثة الأزهر عن أحوال المسلمين في أريتريا (١٩٥٤) .
- ١٣ - الأزهر ، تقرير لبعثة الأزهر عن أحوال المسلمين في بلاد الحبشة (١٩٥٤) .
- ١٤ - المقرئى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ١ ، مقدمة (طبعة بولاق) .
- ١٥ - عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار في التراجم والأخبار (١٠٩٧ - ١٨٨٠) ج ٣ .
- ١٦ - على مبارك : الخطط التوفيقية (طبعة ١٣٠٤ هـ) ج ٤ .

ثانيا - مراجع عربية ومعربة :

- ١ - ابراهيم طرخان (دكتور) :
امبراطورية البرنو الإسلامية (١٩٧٥) .
- ٢ - أحمد أحمد بدوى :
رفاعة الطهطاوى بك (١٩٥٠) .

- ٣ - أحمد بن الحاج كاتب الشونة :
(تحقيق الشاطر بوصيلى) (القاهرة ١٩٦١) .
- ٤ - أحمد حسن الباقورى :
الأزهر بين الخليفة المعز والرئيس جمال
عبد الناصر (١٩٦٨) (المجلد الأول من الندوة
الدولية الألفية للقاهرة) .
- ٥ - أحمد حسين الزيات :
كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية (ضمن
الكتاب التذكارى بمناسبة العيد الألفى
للأزهر) (١٩٨٣) .
- ٦ - أحمد محمد عوف (دكتور) :
الأزهر فى الف عام (١٩٨٢) .
- ٧ - أونولد ، توماس :
الدعوة الى الاسلام (ترجمة حسن ابراهيم
حسن ، عبد المجيد عابدين ، اسماعيل
النحراوى) (١٩٤٧) .
- ٨ - أنور الجندى :
العالم الاسلامى والاستعمار (١٩٥٨) .
- ٩ - الأشهب محمد الطيب ادريس السنوسى الكبير
(١٩٥٦) .
- ١٠ - حسن ابراهيم حسن (دكتور) :
انتشار الاسلام فى القارة الافريقية (١٩٨٤) .

- ١١ - حسن أحمد محمود :
الاسلام والثقافة العربية في افريقية (١٩٦٣) .
- ١٢ - حمدي السيد سالم :
الصومال قديما وحديثا ج ٢ (١٩٦٢) .
- ١٣ - سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :
العلاقات بين مصر والحبشة (١٩٧٥) .
- ١٤ - سنينة لقراعة :
تاريخ الأزهر في الف عام (١٩٦٨) .
- ١٥ - شوقي الجمل (دكتور) :
تاريخ كشف افريقيا واستعمارها (١٩٨٠) .
- ١٦ - شوقي الجمل (دكتور) :
المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (١٩٧٧) .
- ١٧ - شوقي الجمل (دكتور) :
تاريخ السودان وادى النيل وحضارته وعلاقاته
بمصر ج ١ (١٩٦٩) .
- ١٨ - صالح مجدى :
كنز الجواهر في تاريخ الأزهر (١٣٢٠ هـ) .
- ١٩ - عبد الحميد بنخيت :
المجتمع العربى الاسلامى (١٩٦٥) .
- ٢٠ - عبد الحميد يونس (دكتور) ، عثمان توفيق :
الأزهر - دار الفكر العربى (١٩٤١) .

- ٢١ - عبد الرحمن زكى (دكتور) :
الاسلام في افريقيا ج ١ (١٩٥٨) .
- ٢٢ - عبد الرحمن زكى (دكتور) :
الاسلام والمسلمون في شرق افريقيا (١٩٦٦) .
- ٢٣ - عبد الرحمن زكى (دكتور) :
تاريخ الدول الاسلامية السودانية في افريقيا
الفريقية (١٩٦١) .
- ٢٤ - عبد الرحمن زكى (دكتور) :
الأزهر وما حوله من الآثار (١٩٧٠) .
- ٢٥ - عبد الله بن فوضى :
ضياء التأويل في معانى التنزيل (د.ت -
مطبعة الاستقامة) (بالقاهرة) ج ١ .
- ٢٦ - عبد العزيز عبد المجيد (دكتور) :
التربية في السودان الأسس النفسية التي
قامت عليها ج ٢ .
- ٢٧ - عبد العزيز كامل (دكتور) :
جغرافية الاسلام في افريقيا دار الشرق
العربى (د.ت) .
- ٢٨ - عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) :
الأزهر جامعا وجامعة ج ١ (١٩٨٣) .
- ٢٩ - عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) :
الأزهر جامعا وجامعة ج ٢ (١٩٨٤) .

- ٣٠ - عبد الله الشرفاوى :
تحفة النظار فيمن ولى مصر من الولاة والسلطين
١٢٨٤ هـ - ١٨٧٠ م) .
- ٣١ - عبد الله عبد الرازقى (دكتور) :
الاسلام والحضارة الاسلامية في نيجيريا
(١٩٨٤) .
- ٣٢ - عبد القادر محمود :
الفكر الصوفى في السودان (١٩٧٥) .
- ٣٣ - عبد المتصاى العبيدى :
تاريخ الاصلاح في الأزهر (١٩٥٨) .
- ٣٤ - عبد المجيد عابدين (دكتور) :
بين الحبشة والعرب (١٩٤٧) .
- ٣٥ - عبد المجيد عابدين (دكتور) :
تاريخ الثقافة العربية بالسودان (١٩٥٣) .
- ٣٦ - على عبد العظيم :
مشيخة الأزهر منذ انشائها حتى الآن
ج ١ (١٩٧٨) .
- ٣٧ - على عبد العظيم :
مشيخة الأزهر منذ انشائها حتى الآن
ج ٢ (١٩٧٩) .
- ٣٨ - فتحى غيث :
الاسلام والحبشة عبر التاريخ (١٩٧٥) .

- ٣٩ - كارل بروكلمان :
تاريخ الشعوب الاسلامية والاسلام فى القرن
التاسع عشر - ترجمة أيمن فارس ومنير
البلبكي (١٩٥٠) .
- ٤٠ - كلود ، هنرى ، بوتان أندريه ، لوكوست اينى :
الاستعمار الفرنسى والمغرب العربى (د.ت) .
- ٤١ - كوفى عبد الرحمن :
الاسلام والمسلمون فى ساحل العاج (١٩٢٨) .
- ٤٢ - لوثيروب ، ستوارد :
حاضر العالم الاسلامى (ترجمة نجاح
توملين) ١٣٥٢ هـ .
- ٤٣ - محمد عبد الله عنان :
تاريخ الجامع الأزهر (١٩٥٨) .
- ٤٤ - محمد البهى (دكتور) :
الأزهر ، تاريخه وتطوره (١٩٦٤) .
- ٤٥ - محمد سليمان :
دور الأزهر فى السودان (١٩٨٥) .
- ٤٦ - محمد عبد القادر أحمد (دكتور) :
المسلمون فى غينيا (١٩٨٦) .
- ٤٧ - محمد عبد الله ماضى (دكتور) وآخرون :
الأزهر فى ١٢ عاما (١٩٦٤) .
- ٤٨ - محمد عبد المنعم خفاجى (دكتور) :
الأزهر فى ألف عام (١٣٧٤ هـ) .

- ٤٩ - محمد فؤاد شكري :
مصر في مطلع القرن التاسع عشر ج ٢
٠ (١٩٥٨)
- ٥٠ - محمود أبو العنين :
نبذة في تاريخ الأزهر (١٩٤٦) .
- ٥١ - محمود الشنيطي :
قضية ليبيا (١٩٥٤) .
- ٥٢ - مصطفى بيرم :
الأزهر (١٩٠٢) .
- ٥٣ - مصطفى مسعد :
الاسلام والنوبة في العصور الوسطى (١٩٧٥) .
- ٥٤ - منصور علي رجب :
الأزهر بين الماضي والحاضر (١٩٤٦) .
- ٥٥ - نعيم قـداح :
حضارة الاسلام وحضارة اوربا في افريقيا
الغربية (١٩٧٤) .
- ٥٦ - وزارة الأوقاف وشئون الأزهر :
الأزهر تاريخه وتطوره (١٣٨٣ - ١٩٦٤) .
- ٥٧ - محمد عمر بشير (دكتور) :
تطور التعليم في السودان (بيروت ١٩٧٠) .
- ٥٨ - يسرى الجوهري (دكتور) :
افريقية الاسلامية (١٩٨٠) .

- ٥٩ - يوسف أحمد :
الاسلام في الحبشة (١٩٣٥) .
- ٦٠ - يوسف فضل :
دراسات في تاريخ السودان ج ١ .

ثالثا - دوريات عربية :

- ١ - بشير حسن ترون :
الأزهر في القرن الثامن عشر الميلادي (مجلة
الأزهر ج ٨ - ذو الحجة ١٤٠٣ هـ) .
- ٢ - حسن النواوي وآخرون :
قانون تنظيم الأزهر ومنبر الاسلام
(مارس ١٩٨٣) .
- ٣ - شوقي الجمل (دكتور) :
الحضارة الاسلامية العربية في غرب افريقيا
- سماتها ودور المغرب فيها (مجلة المناهل
العربية - العدد السابع ذو القعدة
١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م) .
- ٤ - عبد الرحمن زكي (دكتور) :
المراجع العربية للتاريخ الاسلامي في غرب
افريقيا (مجلة الجمعية المصرية للدراسات
التاريخية ١٩٦٧) .
- ٥ - عبد الله عبد الرازق ابراهيم (دكتور) :
الحركات الاصلاحية في غرب افريقيا في القرن

التاسع عشر (نشرة البحوث الافريقية
يولية ١٩٨٣) .

٦ - عبد الله بخيت محمد (دكتور) :

خطورة الصراع الدينى فى افريقيا .
(مجلة الأزهر ج ١ للسنة الستون محرم
١٤٠٨ هـ - سبتمبر ١٩٨٧ م) .

٧ - محمد شتا زيتون :

تأثير الأزهر فى الخارج بين الماضى والحاضر
(مجلة الأزهر ج ٩ السنة الخامسة
والخمسون رمضان ١٤٠٣ هـ يونيه ١٩٨٣ م) .

٨ - محمد شتا زيتون :

تأثير الأزهر فى الخارج بين الماضى والحاضر
(مجلة الأزهر ج ١٢ السنة الخامسة
والخمسون ذو الحجة ١٤٠٣ هـ سبتمبر
١٩٨٣ م) .

٩ - محمود عاشور :

مدينة البحوث ودورها فى حقل الدعوة
الاسلامية (منبر الاسلام جمادى الأولى ،
جمادى الآخرة ١٤٠٣ - يونيه ١٩٨٣) .

رابعاً - دوريات اجنبية

1. Willis, J. Ralf : Jihad Fi Sabil Allah (Journal of African History VIII No. 3 — 1967).
2. Johnston, Marion : Economic Foundations on an Islamic Theocracy (Journal of African History XVU, 44 — 1967).
3. Journal of African History — Vol. 11 (1961)

خامساً - رسائل جامعية :

يونان ، عبد العزيز سليمان :

رسالة الأزهر الثقافية في بعض دول افريقيا
(دراسة مقارنة) رسالة دكتوراه - كلية

التربية جامعة عين شمس ١٩٧٢



سادساً - دوائر المعارف والقواميس :

١ - دائرة المعارف الاسلامية الجزء الثالث

٢ - قاموس جلال ج

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

سابعاً - مراجع اجنبية :

1. Ajaya and Crowder JM : History of West Africa- Vol 1 (London 1978).
2. Dodge, Bayard : Al Azhar, Ahillennium of Muslim leading, (Washington 1961).

3. Coupland, R. : East Africa and its Invaders (London 1958)
4. Crowder, M. : West Africa Under Colonial Rule.
5. Dye, W. : Moselm Egypt and Christian Abyssinia. (N.Y. 1880).
6. Fage, J.D. : An Introduction to the History of West Africa. (Cambridge 1955).
7. Felkin : Uganda and the Egyptian Sudan V.I. (London 1958).
8. Hogben : Muhammdan Emirates of Nigeria. (Oxford 1966).
9. Panikkar, Madhu : The Serpent and the grescent. (Bonbay 1965).
10. Pritchard Evans : The sanusi of Crgenaica (Oxford 1949).
11. Rebaud, Louis et autres : Histoire Scientifique et Militaire de l'Expedition Francaise.
12. Slatin : Fire and Sword in the Soudan (Translated by Colonel Wingate-London 1898).
13. Thompson Nirginia and Adolf Richard : French West Africa (London 1958).
14. Trimmingham S. : Islam in the Sudan. (London 1939).
15. Trimmingham, S. : Islam in Ethiopia (London 1952)
16. Wingate, Major, F.R. : Mahdism and the Egyptian Sudan (London 1891).

الفهرس

الصفحة

٥	تقديم
٧	مقدمة
٩	الفصل الأول : تاريخ الأزهر منذ نشأته الى اليوم ...
	الفصل الثاني : الوافدون على الأزهر والمبعوثون منه ودورهم في نقل الحضارة والثقافة العربية الى الأقطار الافريقية الأخرى ...
٣٧	
	الفصل الثالث : الدول الافريقية التي لعب الأزهر دورا هاما في نشر الاسلام والثقافة العربية فيها
٦٣	
	الفصل الرابع : الطرق الصوفية والحركات الإصلاحية في أفريقيا ودور الأزهر فيها ...
١٠٣	
	الفصل الخامس : دور الأزهر في الكفاح الوطني في مصر وصدى ذلك في باقى الأقطار الافريقية ...
١٢٩	
	الفصل السادس : دور الأزهر في نشر الثقافة والحضارة العربية في افريقيا ...
١٥٧	
١٦٩	خاتمة
١٧١	ملاحق

رقم الايداع ٥١٤٤ / ١٩٨٨
الترقيم الدولي ٨ - ١٨٦٤ - ٠١ - ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

